دعاء:

يا رب علمني أن أحب الناس كلهم كما أحب نفسي وعلمني أن أعاتب نفسي كما أعاتب الناس جميعا وعلمني أن التسامح هو أعلى مراتب القوة وأن الانتقام أدل مظاهر الضعف. يا رب لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت، بل علمني دائما أن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح.

يا رب إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي، وإذا أساء الناس فامنحني شجاعة العفو وإذا أسأت يا رب إلى الناس فامنحني شجاعة الاعتذار.

إهداء:

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليا وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

فإن القلم يعجز أن يسطر كلمات الشكر والتقدير لكل من كان له فضل أو مديد العون في سبيل إخراج هذا البحث على هذا النحو.

فأخص بالشكر الجزيل إلى الحنان ومرفأ الأمان إلى والدي الكريمين أدام الله عليهما لباس الصحة والعافية ورفع درجتهما في عليين وحشرهما مع الشهداء والصديقين على صبرهما عليّ ودعمهما المتواصل لي فما أجدَّ ما وصلت إليه اليوم إلا بفضلهما وثمرة مجهودهما وجزاهما الله عني خير الجزاء ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ (سورة الإسراء). والشكر موصول إلى صديقاتي العزيزات خاصة أمينة زميلتي في هذه المذكرة مشكورة على جهودها المبذولة.

كما أتقدم بالشكر خاصة إلى أخواتي أمينة وزهرة دون نسيان إخوتي على وقوفهم ودعمهم لي المستمر في السراء والضراء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الذي قبل الإشراف على هذا العمل رغم ظروفه إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبيد -حفظه الله-.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء والله المستعان وعليه التوكل وصلِ اللهم وبارك على خير خلقك أجمعين هحمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين -صلى الله عليه وسلم-.

إهداء:

- إلى والدي الأعزاء أطال الله في عمرهما.
- إلى أستاذي المشرف الدكتور عبيد نصر الدين وفاءا وتقديرا حفظه الله وجزاه خيرا.
- إلى إخوتي وأخواتي حفظهم الله.
- إلى كل من ساهم في إخراج هذه المذكرة.

شكر وتقدير:

الحمد لله العلي العظيم الذي منّ علي بنعمه فألهمني روح الصبر والمثابرة لأتم هذا العمل. يسعدني في هذا المقام أن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لوالدي الغاليين على ما بذلوه من جهد ورعاية وعناية ودفع وتشجيع كي أصل إلى ما أصبوا إليه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي المشرف الدكتور عبيد نصر الدين أطال الله في عمره وجزاه خيرا وما قدمه لي من نصائح ثمينة ساهمت في إخراج هذا البحث على هذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى إخوتي وأخواتي وخاصة أخي العزيز جلايلي إبراهيم حفظه الله وأطال في عمره الذي أعانني في إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة على إتاحتها الفرصة لي للبحث والدراسة في جو علمي مقدم بالود والمحبة والاحترام.

وأخيرا أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل وإلى كل أصدقائي وصديقاتي وخاصة صديقتي التي أنجزت معي هذا البحث طاجين خديجة. راجية من المولى عز وجل التقدير أن أكون من العارفين للناس فضلهم وأن يمكنني من رد الجميل. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

خطة بحث للمذكرة:

صورة المرأة في شعر الصعاليك

إهداء.

مقدمة حول الموضوع.

مدخل مكانة المرأة في الجاهلية.

الفصل الأول: الصعلكة.

المبحث الأول: تعريف الصعلكة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: ظروف وملابسات شعر الصعلكة.

الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر الصعاليك.

المبحث الأول: صورة الأم.

المبحث الثاني: صورة المرأة الزوجة.

المبحث الثالث: صورة المرأة المحبوبة.

المبحث الرابع: صورة المرأة الأخت.

الخاتمة حول الموضوع.

المصادر والمراجع.

فهرس.

المقدمة:

تناول هذا البحث موضوع المرأة في شعر الصعاليك السابقين للإسلام، حيث ظلت صورتها تشغل مساحة متميزة في النص الشعري الجاهلي، فتميزت في لوحات الطلل والنسيب والغزل والظعن والطيف والحوار...

فقد كانت المرأة ركنا من أركان المجتمع، وأساسا من أسسه وحجرا هاما في بنائه. فهي التي تنجب وتربي الأبطال ولربما شاركت في القتال، كما نجدها الحصن الحصين والحضن الدافئ الذي يلجأ إليه العربي فيبثه همومه وأحزانه وآلامه. كما أن المرأة مثلت مصدر إلهام للشعراء فيبكون على فراقها، ويتشوقون لرؤيتها، ويتعذبون لقطيعتها. فلطالما صورها في صور عفيفة طاهرة ممتنعة مصونة، وطالما افتخر الشعراء بها وبحمايتها ورعايتها وصونها.

فقد خصصنا الحديث هنا عن صورة المرأة في شعر الصعاليك العرب الذين رسموا لأنفسهم حياة مختلفة اختاروا فيها العيش وسط الرمال مع الوحوش، فقد عايشوا فيها الصعاب، فبنو في الجاهلية قيم ومبادئ وأفكار جعلتهم شواذ العرب.
فظاهرة الصعلكة تعد نزعة إنسانية نبيلة وإن اختلفت أسباب خروج هؤلاء لفئة من بين قومهم بسبب التمييز العنصري الذي كان قائما في ذلك العصر: كالنسب، والأصل، والقبلية، ومكانة الأب أو الأم وغيرها. فقد خرجوا عن قومهم أما السبب الآخر للثأر والانتقام منهم...

لذلك كثرت الدراسات التي تناولت المرأة العربية في العصر الجاهلي ولكن الذي أثار اهتمامنا ولفت انتباهنا أن هذه الكتب مرت ممر الكرام على شريحة مهمة في المجتمع الجاهلي، فئة آثرت العيش في مجاهل الصحراء، وشعاب الأودية واصطحاب الوحوش وافتراش الأرض، فئة آثرت نفسها التمرد على الظلم والظالمين، آثرت على نفسها أن تكسر قيود القبلية وتتحدى الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية وتكوّن نفسها. فرفضت الفقر والهوان ورأت العزّ في الغزو وانتزاع الحقوق من الظالمين انتزاعا.

فهذه الشريحة من المجتمع هي "الصعاليك" التي لم تنل من الدراسات إلا الحظ القليل والاستقصاء كما أننا لم نجد أحدا من الباحثين خصّهم بدراسة مستقلة وربما ذلك راجع إلى قلة الأخبار عنهم، لأنهم عاشوا معزولين في مجاهل الصحراء وكذلك لقلة أشعارهم وتناثرها بين كتب الأدب وغيرها، وضياع الكثير منها، وهذا ما قد يسبب للباحث عناءًا ومشقة قد يجد نفسه في غنى عنها.

فهذا الأمر دفعنا إلى إنصاف هؤلاء الشعراء بأن نتتبع أشعارهم ونجمع أخبارهم التي حاوروا فيها المرأة ووصفوها وأحبوها وشاطروها أحلامهم وآمالهم وأحزانهم وهمومهم. فتارة نجدها في شعرهم لائمة وتارة محرضة وأخرى ملهمة ومدافعة حاملة للسيف في المعارك فقد صورها تصويراً بارعاً ودقيقاً. فهي عفيفة طاهرة شريفة تحفظ السر، غاضة للبصر كارمة للجار عونا للرجال في كل حين. سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجتاً أو محبوبتاً.

كما قد توصلنا إلى مجموعة من النقاط المهمة فنذكر منها:

- وجود الصعلكة وانتشارها بقوة في العصر الجاهلي ثم اختفائها تقريبا في صدر الإسلام ثم عودتها بقوة في العصر الأموي.
- احتلال المرأة سواء كانت أختاً أو أماً أو زوجة أو حبيبة مكانة مرموقة في العصر الجاهلي، فقد نالت الحظ الوافر من الاحترام والحماية والتقدير والرعاية.
- الحقيقة المهمة أن الصعاليك في غيرهم من شعراء عصرهم كانت لهم مقدمات منزلية وطللية واضحة لا يمكن إعقالها وتجاهلها، فالصعاليك في مقدمات قصائدهم شغلتهم المرأة المحبوبة أو الزوجة فأحبوها.
- وجود لنماذج لوفاء المرأة العربية وحفظها لعهدها وتمسكها بالحب.
- كما كان هناك دور بارز وأثر بارز في حياة الصعاليك غيّر مسار حياتهم فانقسم الصعاليك إلى محب لها ومشفق عليها وبين ناقم عليها وعلى أهل أبيها.
- أما الزوجة فقد حظيت بنصيب وافرٍ وافٍ من شعر الصعاليك وربما أكثر معاصرتها وذلك لارتباط الصعاليك بزوجاتهم.

فلذا قد احتلت المرأة في الشعر الجاهلي مكانة رفيعة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، مكانة يمكن استيضاحها بجلاء من خلال النظر في شعر العرب الذي هو مرآة حياتهم ولسان حالهم، الذي لا يوجد أصدق منه دليلا، كذلك بالنظر في بعض كتب التاريخ وغيرها. فقد كان لها دوراً هاماً بحيث شرّفت وعُلِّيت مكانتها فاعترف لها الرجال بالفضل والمنزلة الكريمة السامية بل يتودد لها أحيانا ويتوجه بكريم الصفات وعظيم الفعال ويستميل قلبها في قول عنترة:

هَلَا سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابنةَ مَالكٍ إنْ كُنتِ جَاهلةً بِمَا لمْ تَعلمِي.

يُخْبِركِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أنَّني أغْشَى الوَغَى وأعُّفُ عِندَ المَغنَمِ.[1]

فقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو اكتسابه للتنوع والتفرع وأهميته القيّمة فقد اعتمدنا النهج الوصفي التحليلي الذي ساعدنا في تشكيل خطة مكونة من: مقدمة ومدخل تمهيدي وفصلين، الفصل الأول نظري والفصل الثاني تطبيقي وخاتمة.

فالمقدمة احتوت على ملخص شامل للموضوع أما المدخل التمهيدي فقد تحدثنا عن مكانة المرأة في العصر الجاهلي وما نالته من منزلة سامية في الشعر والشعراء. أما الفصل الأول: فقد تناولنا فيه مفهوم الصعلكة لغة واصطلاحا مع ذكر بعض فئات الصعاليك كما تطرقنا إلى ذكر الظروف والملابسات التي دفعت بهذه الفئة إلى الخروج عن القوم والتمرد وذلك لصعوبة العيش والحرمان التي عانت منها الفئة والتمييز والمعاناة وضنك العيش.

[1]- ديوان عنترة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1985م، ص123.

أما الفصل الثاني: فقد تناول الحديث والبحث عن الصور التي وردت في أشعار الصعاليك: فمنها صورة المرأة في شتى مكانتها فلم يخلوا الذكر عن الصور التالية: فقد صوروا مكانة المرأة الأم والزوجة والأخت والحبيبة.

فككل بحث لا يخلوا من الصعوبات فقد واجهتنا بعضها: كمشكلة المراجع فلا نقول قلتها وإنما لاحتوائها على معلومات متكررة فنفسها تكررت بصيغ مختلفة فلم تأت بجديد.

وفي الأخير جزيل الشكر لله سبحانه وتعالى أولا على توفيقه في إتمام هذا العمل.

مدخل:

صورة المرأة في العصر الجاهلي:[1]

لقد كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل البهائم ويتصرفون فيها كيفما شاؤوا، وكانوا لا يورثون المرأة ويرون أنها ليس لها حق في الإرث وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف.

وكذلك لم يكن للمرأة على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدد، وليس لتعدد الزوجات عدد معين.

وكان العرب إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره فهو يعتبرها إرثا كبقية أموال أبيه. فعن بن عباس -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ (سورة النساء: 19) وقال: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية فذلك". وكان بن عباس -رضي الله عنه- قال: "كان الرجل إذا مات أبوه، فهو أحق بامرأته إنشاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت، حتى يذهب بمالها". فالرجل له مكانة عظيمة وكبيرة على المرأة كما أن كذلك كانت

1- المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، ص 145/144/143/142/141.

العدة للمرأة إذا مات زوجها سنة كاملة، وكانت المرأة تحد على زوجها أشد حداد وأقبحه فتلبس شر ملابسها، وتترك الزينة والطيب والطهارة فلا تلمس ماءا، ولا تقلم ظفرا، ولا تزيل شعرا، ولا تبدوا للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت وظهرت بأغرب وأقبح منظر وأجمل رائحة فعن زينب بنت أبي سلمى قالت: "سمعت أمي أم سلمى -رضي الله عنها- تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عليها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفأنكحّها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "لا"، ثم قال: "إنما هي أربعة أشهر وعشرا وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول". قال حُميد: "فقلت لزينب، وما ترمي البعرة على رأس الحول؟" فقالت زينب: "كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيب حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة دمارا وشاة أو طائر فتقتض به فقلما تقتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعرة فترمى بها، ثم تراجع بعدها ماشاءت من طيب أو غيره". سأل مالك رحمه الله: ما تفتض به؟ قال: تمسح به جلدها، حيث كان عند العرب أنواع من الزيجات الفاسدة التي لا يرتضيها عاقل عنده ذرة عقل. فعن عروة بن الزبير أن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: "فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليال بعد أن

تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل والنكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك" فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. ومنها نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو موليته لرجل آخر على أن يزوجه هو موليته بدون مهر، وقد حرم الإسلام هذا النكاح، فعن بن عمر -رضي الله عنهما- أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته وليس بينهما طلاق". حيث كان العرب في الجاهلية يكرهون البنات فيدفنوهن أحياء خشية العار كما يزعمون، فهم يعتبروهن عارا يجب أن يتخلصوا منه بجريمة قتل بشعة لا رحمة فيها ولا شفقة وإنما هم الواحد منهم أن يتخلص من هذه البنت بأي وسيلة فيدفنها حية فقال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة النحل). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ (سورة التكوير). فكانت مخلوقا ضعيفا على أسوئ حال فحقوقها مهدورة وكرامتها ضائعة والمجتمع كله لا يعترف بإنسانيتها كما كانت البعض تئد بناتها من خشية الفقر والعار، كما حرمت الكثير من الحقوق

ويرسم لنا نابغة العصر العلامة السيد أبوا الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله قائلا: "وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي غبن وحيف" ومع ذلك كانت عنصرا بارزا في الحياة العامة، ساهمت فيها بنصيب موفور، فكانت تشارك الرجل في كثير من شؤون الحياة تحتطب وتجلب الماء وتحلب الماشية وتنسج الملابس والسكن وأغلبهن سافرات يقابلن الضيوف ويتحدثن إليهم، وكانت المرأة في الجاهلية أيضا تتبع الرجل في الحروب وتشجعهم وتؤيدهم وتعالج المرضى وتحمل الماء إلى الجنود وتقاتل إذا اقتضى الأمر كما نجد معلومات قليلة جدا تتعلق بالنساء اللاتي عشن في العصر الجاهلي قبل الإسلام، السيدة خديجة هي أول زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت سيدة أعمال ناجحة وفي الحقيقة هي من طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها لها نشاطات سياسية وشهدت معركة بدر ولها قصة خلاف في التشويه الجسدي لجثة أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم بما أنهم لم تتساوى حقوقهن بحقوق الرجال لذلك كانت تملى عليهن الأوامر تحت نظام أبوي صارم كان ينظر للمرأة سيطرة بسيطة جدا على زوجها ولا يمكن لها إرث الممتلكات فمن الوضع القانوني وأسلوب التعامل مع النساء في عصر ما قبل الإسلام نجد القبيلة: التي هي جماعة وظيفية أساسية للمجتمع العربي وتتكون من أفراد لديهم روابط مشتركة وكان كثير من هذه القبائل من أصل لنظام أبوي وبتالي قد شكلت هذه القبائل من روابط ذكورية تنتقل من جيل لآخر ونتيجة لهذا النظام الأبوي فإنه ليس من المستغرب أن لا يكون للإناث أي حق في السلطة وفي القبيلة اختيار أزواجهن ومع ذلك فإن القبيلة كانت توفر الحماية للمرأة إذا كان زوجها يسيء معاملتها. كذلك الحجاب: حيث كان للنساء اللاتي ينتمين إلى عائلة الأسياد وكذلك النساء اللاتي كنا في السابق عاهرات ولنهن تزوجن، وكانت قوانين الحجاب صارمة بحيث أن عواقبه لا تطاق وقد سنت على هؤلاء النساء والتي

شملت بعض منها الضرب أو قطع آذانهن في حيث أن الكثير من الناس يعتقدون أن جميع النساء في الجزيرة العربية قبل الإسلام أخذت جزء من تقليد الحجاب ولكن كان يتم منع العاهرات والعبيد من المشاركة في هذا التقليد فلم يستخدم الحجاب فقط لتصنيف وفقا لمكانتهن ولكن وصفت لهم أيضا بناءا على نشاطهم الجنسي والحالة الاجتماعية كذلك المعاملة فكانت تحت السيطرة وليس لها أي حق، أما تقليد الزواج فكان عندهم الزواج بالموافقة والزواج بالأسر، والزواج بالشراء، الزواج بالميراث، وكذلك وأد البنات وغيرها... وهكذا كانت الحياة قبل الإسلام عبارة عن مجتمع أبوي بشكل واضح حيث كان الغرض الوحيد من النساء هو خدمة الرجل وفي الواقع كانت أهمية إنجاب ذرية ذكور لقدرتهم على المحاربة، هناك العديد من الاعتراضات على القوانين والأعراف قبل الإسلام حول هيكل الأسرة وحول القضايا المتعلقة بوأد الرضيع ومن المهم أن ندرك أن الكثير من النقاشات العلمية حول حال المرأة في العصر الجاهلي حيث كان هناك إنعدام وجود مصادر تاريخية موثوقة ومعلومات واقعية هكذا كان حال هذا المخلوق الضعيف قبل الإسلام عند العرب إلى أن أشرقت شمس الإسلام بنورها الساطع وأضاءت كل ظلام وأخرجت من الظلام إلى النور حيث كرمها وجعل لها المكانة العظيمة في المجتمع المسلم بعد أن كانت مخلوقة لا قيمة لها ولا وزن.

الفصل الأول:

الصعلكة

المبحث الأول: الصعلكة.

المطلب الأول: تعريف الصعلكة (لغة واصطلاحا).

1. الصعلكة في اللغة:

قال بن سيده (ت: 458هـ) في المحكم والمحيط الأعظم: الصعلوك: الذي لا مال له وقد تصعلك، قال حاتم الطائي:

عُنينا زماناً بالتصَعلُكِ والغِنى وكلاً سَقَانَاهُ بِكَاسَيهِمَا الدهرُ.

وتصعلكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت، ويقال رجل مصعلك الرأس مدوره، وصعلك الشريدة جعل لها رأسا، وقيل رفع رأسها[1] كما نرى أن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، أما بمدلوله المباشر وهو التجرد من الفقر في الإنسان هو التجرد من الغنى، وتصعلك الإبل هو تجردها من أوبارها، وكذلك إن صعلكة الشريدة تجريدها من الضخامة كان يظهر أعلاها. وإما بإشارة كالضمور والهزال، مثل تصعلك الأسنمة باستدارتها وضمورها بالنسبة للأسنمة المنبعجة. ويمكن إذا رد كل هذه الاستعمالات إلى معنى الفقر وإشارة في ضمور وهزال وغير ذلك.[2]

[1]- أبوا الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسي، الحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكنتب العلمية بيروت-لبنان-، ط1، س2000م، ج2، ص416.

[2]- عبد الحليم حقي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1987م، ص18/17.

وقد جاء في معجم "الصحاح" للجوهري (ت: 393هـ) الصعلوك: الفقير، وصعاليك العرب ذؤبانها ، وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه، والتصعلك الفقر، قال الشاعر: عُنينا زمانا بالتصعلك والغنى. ويقال تصعلكت الإبل أي طرحت أوبارها[1] ومن خلال تعريف الجوهري يثبت لنا أنه متفق تماما مع ابن سيده حول معنى الفقر والتجرد، إلا أنه زاد عليه بقوله: "صعاليك العرب ذؤبانها".

وعند العودة إلى مادة "ذاب" في الصحاح نجده يقول: "ذؤبان العرب صعاليكها الذين يتلصصون".[2]

فتبعا لذلك فإن كلمة "ذؤبان" تحيلنا إلى وظيفة اجتماعية، أي أنه جعل لكلمة "صعاليك" معنى اجتماعي عندما قرنها بوصف الذؤبان، فليس الصعلوك هو ذلك الفقير فحسب، وإنما له معنى آخر وهو اللص، وكما تعلم فلا يشترط في اللص أن يكون فقيرا وإنما قد يكون امتهن حرفة اللصوصية لميول في نفسه أو انحراف في طباعه. ومن تم فإن صاحب الصحاح تقدم بنا قليلا نحو الاستعمال العرفي والمعنى المتداول للفظة "الصعاليك" وقد أكد ذلك عبد الحليم حفني بقوله: "وإذا فلا شك في أن الوصف بكلمة لص أو كلمة ذئب يساوي تماما الوصف بكلمة صعلوك". أما التصعلك تعني الفقر، وصعاليك العرب ذؤبانها فكان عروة بن الورد يسمى بعروة الصعاليك فكان يجمع الفقراء في حظيرة ويرزقهم مما يغنمه. فنجد في تعريف ابن منظور: هو قوله فزاد الأزهري لا اعتماد له كما تفطن الأزهري إلى التفريق بين الفقير والصعلوك في الحاجة وحدة الإملاق كما يكون له الأهل والعشيرة بينما

[1]- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، ط4، 1990م، ص1597/1596.

[2]- نفس المرجع السابق.

الصعلوك هو مع كل ما يعانيه من فقر وحرمان فليس له من يده في الدنيا يد العون أو يعول عليه عندما تضيق به الدنيا بما حيث رحبت.

وفي تعريف آخر: فالصعلكة تعني الفقر والصعاليك هم الفقراء وتصعلك الرجل إذا افتقر.

يقول الأعشى:[1]

على كلِ أحوالِ الفتَى قد شربتُها غنياً وصعلوكاً وما إن أقأتُها.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستنصر بصعاليك المهاجرين أي فقرائهم فمن خلال النصين -الذين ذكرا- فلا يدع لنا هنا مجال للشك في أن الصعلكة هي الفقر وان كانت دلالة الكلمة قد تطورت فأطلقت أيضا على الفقر المقترن بنزوع بثوري وإن صدق التعبير. فنعرف الصعاليك أنهم هم الفقراء لكن في هذا الاتجاه الثوري كانوا فقراء وشجعانا أقوياء وذلك من خلال فورقهم بين الأغنياء والفقراء وخلاء أيديهم من المال وعجزهم عن الحياة التي يشتهون فمن خلال هذا نجدهم ثاروا على النظام المالي فغنموا بالقوة ما حرموا منه وذلك بثأرهم من الأغنياء والبخلاء في مجتمع لا تحميه شرطة ولا يخضع لقوانين ومحاكم منظمة.

فقد اشتهر العديد من الصعاليك في الجاهلية أمثال: عروة بن الورد، تأبط شرا، الشنفرى، السليك بن السلكة، وعمر بن براقة، وفي الإسلام: الأحمر السعدي وغيرهم، فعرفوا بسرعة الحركة والخفة والعدوِ والخبرة بدروب ومسالك الصحراء، فقد كان الصعاليك شجعانا مغامرين لا يبالون بالأهوال والمخاطر.

[1]- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبوا بكر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ص25.

فقد حقق الصعاليك التضامن تحقيقا علميا فنجد عروة بن الورد فضّل الموت على الحياة الذليلة فقد شارك في ثورات الصعاليك وتقاسموا الغنائم وشاركوا القسمة إخوانهم العاجزين فقد عرف عروة بن الورد بزعيم الصعاليك فقد كان يجمع كل فقير محتاج في مكان ويقوم بإخبارهم إذا أخفقوا في غزواتهم انعدم المال فكان يهدف من كسب المال إلى تأديته إلى إخوانهم الصعاليك الذين حلّ معهم الفقر كما نجد حاتم الطائي يمدح الصعلوك المخاطر ويسخر من الصعلوك ضعيف العزيمة في قوله الأبيات:

ولنْ يَكسِبَ الصعلوكُ حمداً ولا غنى ... إذ هو لم يركبْ مِن الأمر معظماً.
لحى اللَّهُ صُعلوكاً، مُناهُ وهَمُّهُ من ... العيش، أن يلقى لبوساً ومطعماً.
ولله صعلوك يساور همُّه ويمضِي ... على الأحداثِ والدهرِ، مُقدِماً.[1]

فقد تنوع الصعاليك في العصر الجاهلي فمنهم الصعلوك المخاطر والصعلوك الخامل وهو الذي يقتات النفايات ويخدم نساء الحي أما الصعلوك المغامر المخاطر فإن قُتل يُقتل مشكورا مذكورا.

وتبعا لذلك فإن الصعلكة في مفهومها اللغوي تعني الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهره ضامرا هزيلا بين أولئك المتوفين حتى يدفعه الفقر إلى حالة من حالات التمرد على القيم والتقاليد ويبدأ بمواجهة الحياة منفردا وقد يسلك في ذلك طرق السلب والنهب والقتل والجريمة والقوة ويعمد إلى السيف والفروسية والرمح.[2]

[1]- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبوا بكر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ص37.
[2]- محمد رضا مروى، الصعاليك في العصر الجاهلي وأخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1996م، ص25.

2. الصعلكة في الاصطلاح:

الدلالة الاصطلاحية للصعلكة:

إن محاولة تحديد مدلول الصعلكة في الاستعمال الأدبي أو كما أقرها العرف العربي المتطول يفرض علينا استقصاء أخبار هؤلاء الصعاليك في كتب اللغة ومجامع الأدب والأخبار حتى تتبين حالهم وأحوالهم وكيف نظر إليهم مجتمعهم وما إذا كان المدلول العرفي يتطابق والمدلول اللغوي والذي كما رأينا يتمحور حول الفقر وآثاره وسنأخذ من التعريف الذي أورده صاحب "جمهرة أشعار العرب" وهو أبو زيد القرشي (القرن الخامس للهجرة) نقطة انطلاق لذلك وهو يعرّف الصعلوك بقوله: "... الصعلوك، الفقير وهو أيضا المتجرّد للغارات"[1] حيث يمكن أن يعد هذا التعريف في أكمل محاولة للقدماء في تحديد المعنى الاجتماعي للصعلوك إذ نظر إلى الصعلوك أنه يكون ذلك الفقير كما يكون ذلك الشخص الذي سخرّ حياته للغارات والغزو. وفي شعر الصعاليك ما يؤكد ما ذهب إليه أبو زيد وذلك حين ألح هؤلاء على ضرورة التفريق بين طائفتين منهم: الطائفة الخاملة الخائفة رضت بحياة الذل والاستجلاء لا تفعل شيئا لتغيير واقعها المر.

[1]- أبوا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البجوي، دار النهضة للطباعة والنشر مصر، ص453.

والطائفة الأخرى كفرت بهذا الوضع وتمردت على القيم السائدة والتي كانت سببا في تعاستهم وحملوا السلاح وثاروا وركبوا الأهوال من أجل مجد الفرد والقبيلة. حيث يقول السليك مفرقا بينهما في قوله:[1]

فـلا تَصِلِـي بصعلوك نؤوم إذا أمـس يعـد مـن العيـــال.
إذا أضـحـى يفقـد منكبيـــه وأبصر لحمـه حـذر الهزال.
ولكن كل صعلوك ضروب بنصل السيف هامات الرجال.

فإن أشعار الصعاليك حافلة بالحديث عن فقرهم وعوزهم ولكن هذه الأحاديث ترِدُ مقرونة بعزيمة صلبة وتحد مميت للواقع ووصف قوة أصحابها فالفقر لا يقطع رجاءهم ولا يثني هممهم ولا يحطّ من عزائمهم وغالبا ما يربط بين هؤلاء الصعاليك من أحوال الفقر والجوع فهما صفتان متلازمتان ولا يمكن أن تفهم الفقر من غير أن يكون مقرونا بالجوع فكل منهما مرتبط بالآخر ارتباطا طاقويا.[2]

[1]- السليك بن سلكة، الديوان، شرح سعدي الصناوي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 1994، ص89/88.

[2]- أحمد كمال زكي، شعر الهزليين في العصر الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي القاهرة مصر، ص104.

فنجد الشنفرى يتفنن في تصوير فقره بل حرمانه في أبلغ صور الحرمان وأشدها تأثيرا في النفس فهو يتحدث عن الجوع فيقول إنه أصبح أليفا له وأنه اهتدى إلى طريقة يعالجه بها هي تجاهله وعدم المبالاة به فيقول متحدثا عن جوعه محتفظا بعزته وكرامته مع هذا الجوع:[1]

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ.
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ.
وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ.
وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ.

وبعد هذا أخذ الشنفرى يصف مدى قوة نفوسهم ونخوتهم فرغم الفقر المعدم والمدقع إلا أنه لا يسأل الناس والأغنياء نوال إحسانهم بل تحملوا على أنفسهم التكرم والتعفف والغنى عن سؤال الناس محافظين على كرامتهم مفضلين الجوع على الشبع بالاستنجاد حتى أنه أكرمهم من كان يختار الموت على الدّنيةِ، فالدّنية هي الذهاب إلى رجل للتوسل إليه بأن يجود عليه بمعروف.[2]

ومن ذلك ما نجده من خبر تأبط شرا أنه خرج غازيا يريد الغارة على الأزد في بعض ما كان يغير عليهم فأنذرت به الأزد فأهملوا له الإبل وأمروا ثلاثة من ذي بؤس: جابر بن أبي، سواد بن عمر بن مالك، وعوف بن عبد الله ان يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا، وأقبل تأبط شرا فأبصر الإبل فطاردها بعض يوم ثم تركها ونهض في شعب فنظر إلى أن يطلبه أحد فكان من القوم حين رأوه ولم يرهم فلما لم يرى أحدا في أثره عاود الإبل فشلها يومه وليلته والغد حتى أمسى ثم عقلها

[1]- الشنفرى، الديوان، شرح وتحقيق بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط2، 1996م، ص63.
[2]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط2، 1993م، ج5، ص80.

فصنع طعاما فأكله والقوم ينظرون إليه في ظله ثم هيأ مضطجعا على النار ثم أخمدها وزحف على بطنه ودخل إلى الإبل وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم ويأبي إلى الحذر والأخذ بالحزم فمكث ساعة وقد هيأ سهما على كبد قوسه فلما أحسوا نومه أقبلوا الثلاثة للمهاد الذي رأوه يهيئه فإذا به يرمي أحدهم فيقتله فجاء الآخرين ورمى فقتله وأفلت جابر هاربا وأخذ سلب الرجلين وأطلق عقل الإبل حتى جاء بها قومه.[1]

ومن ذلك أيضا ما أورده ابن قتيبة (ت: 276هـ) من خبر أبي الطمحان القيمي قال: وقيل له ما أدني ذنوبك؟ قال ليلة الدير وقيل له: ما ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرانية فأكلت عندها طفشيلا.[2] بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت".[3]

ولنا بعض ما تقدم لنا من أخبار هؤلاء الصعاليك أن القدماء لم ينظروا إلى الصعلوك انه ذلك الفقير المعدم فحسب بل نظروا إليه على أنه كان فارسا فاتكا صغيرا ذا قوة وبؤس يهابه المجتمع بل ولكل هؤلاء الصعاليك تكتلات صارت مركزا من مراكز القوة ومصدرا من مصادر الرعب في الجزيرة العربية ففي خبر أمرؤ القيس عندما أراد الأخذ بثأر أبيه أنه جمع إليه جمعا من الصعاليك العرب وشدادها.[4] ولولا البؤس الذي عرف به هؤلاء لما لجأ إليهم أمرؤ القيس في هكذا مهمة ومن الواضح أن الصعاليك هنا ليسوا هم الفقراء ولكنهم طوائف من قطاع

---

[1]- تأبط شرا، الديوان، شرح عبد الرحمان مصطاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 2033م، ص58.

[2]- طفشيلا: هي نوع من المرق.

[3]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة مصر، ط2، ج1، ص388.

[4]- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، ص617.

الطرق انتشرت بأرجاء الجزيرة العربية ينهبون ما يلقونه في صحرائها الموحشة الرهيبة ويتلاعبون به ويتخطفونه ويأكلون ماله.[1]

ولكن هذا لا ينفي قولنا أن الفقر كان من أهم دوافع هذا السلوك لدا الصعاليك ولكن لا يمكن بأي حال اعتباره الدافع الوحيد لذلك لأن هناك عوامل كثيرة تدخل في هذا السياق لتلقي بظلالها على السلوك الفردي فحتى الطبيعة والبداوة لها دورها دون إغفال الدوافع النفسية والشخصيات لدا هؤلاء كان دور آخر للقبيلة لهذا التصعلك.

والآن يمكن أن نقرر بمزيد من الراحة والرضا أن التعريف الاصطلاحي للصعلكة والصعاليك هو ذلك السلوك العدواني الذي اتخذه أصحابه من الفقراء والمعدمين ذوو النفوس القوية والهمم العالية في سبيل الاستغناء والهرب من ذل السؤال وهو أسلوب على ما فيه من بطش ووحشية ومغالاة يمكن أن نجد له مبررات منطقية ترتبط بالواقع الذي يعيش فيه هؤلاء الصعاليك والظروف الاجتماعية والحياتية السائدة آنذاك فالغزو إحدى سمات العصر ووجهه الأول هو ذلك الصراع القبلي بين القبائل مع بعضها أما الوجه الآخر فهو ذلك الفردي الذي مثّله الصعاليك لأنهم كان بمفردهم يواجهون جبروت المال وغطرسته السائدة معتمدين على سواعدهم الذاتية وإمكانيتهم وهم جماعة احترفت القتال والغزو بالسلاح وقطع الطريق واضطربوا على الشدائد وقسوة الحياة ونحن بعد هذا نعتقد أن الصعلكة هي احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم.[2]

---

[1]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص20.

[2]- عبد الحليم حقي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص(ص38 حتى ص85).

المبحث الثاني: ظروف وملابسات الصعلكة:

1. نشأة الصعلكة:

من الصعب تحديد بدء الصعلكة من الناحية الزمنية لأكثر من سبب ومن ذلك أن التاريخ العربي نفسه قبل الإسلام غير محدد على وجه الدقة والمؤرخون حين يحددون بدأ التاريخ من أمة من الأمم يلجؤن غالبا إلى أمرين أحدهما روايات المؤرخين لنا بأنهم عن هذه الأمة بصورة محددة والآخر الآثار التي تركتها أجيال هذه الأمة في توال وتتابع بحيث يمكن مقارنة جيل بجيل آخر ونسبة كل مرحلة من مراحل هذه الآثار إلى جيل معين. ولكن للجزيرة العربية ظروف كثيرة أهمها عدم قيام الدولة الجامعة فيها قبل الإسلام فلم يتيسر لها أحد الأمرين السابقين في صورة مجدية للتاريخ فلم ينظروا فيها قبل الإسلام مؤرخ يسجل لنا تاريخها ولظروف كثيرة أيضا كعزلتها وعدم قيام دولة جامعة فيها قبل الإسلام لم يتردد عليها مؤرخون يسجلون لها تاريخها وأيضا لظروف كثيرة لم يقتضى المقام سردها فلم تكن لها آثار ذات قيمة تاريخية من حيث تحديد التاريخ فلم يبق لنا من تاريخها قبل الإسلام إلا هذه الروايات المتناثرة التي لا تخلوا من الاضطراب وطابع أسطوري خرافي حين آخر والتي كان أهم مصادر الحفاظ عليها أمرين أحدهما اعتزاز العرب بالشعر وذلك نجد أقرب ما رواه الجاهلين من تاريخهم إلى الحقيقة هو ما رووه من شعر مجتمعاتهم وأسلافهم، والثاني تقديس القبيلة لأمجادها وخاصة مظاهر القوة فيها وفي تاريخها ولذلك نجد كل ما وصل إلينا من تاريخ الجاهلية يكاد ينحصر في هذين الشعر والأمجاد، ومما لا شك فيه أنه لولا قيام الدولة الإسلامية لذابت هذه الروايات كما ذاب غيرها في ثنايا العصور وأقول الدول لأن الإسلام كمجرد دين ليس من شأنه أن يحقق هذه الغاية التاريخية ولكن ميزة

الإسلام من أهدافه الأساسية تكوين الدولة وحين قامت هذه الدولة حققت قياما حققت حفظ التاريخ العربي ولكنها لم تجد من التاريخ السابق لها إلا هذه الروايات التي لم تستطع التوغل في الجاهلية أكثر من قرن ونصف في الزمان ثم اِعتراها الوهن ثم شوهتها الخرافات والأساطير حتى لم تعد قبل هذا التاريخ صالحة للتاريخ وملائمة العقل.[1]

فالصعلكة لم تكن حدثا من الأحداث الطارئة أو العارضة في حياة المجتمع العربي قبل الإسلام فكانت ظاهرة تبعت من ظروفه ولازمته فلا تتوقع أن يكون لها تاريخ مستقل وإنما يرتبط تاريخها بتاريخ المجتمع نفسه لذلك نجد أن الصعلكة لازمت كل العصور الجاهلية وكل أماكن الجزيرة العربية.

وحيث نأتي إلى بيان الأسباب التي أدت إلى ظهور الصعلكة في المجتمع الجاهلي نقول عند تفصيل هذه الأسباب ينبغي أن نفرق بين الأحداث سواء كانت عادية أو غير عادية، فنذكر الأسباب التي أدت إلى ظهورها.

الظواهر الاجتماعية: كانتشار عادة الثأر في مجتمع ما فلا يحدّها الزمن ولا المكان ولا المجتمع ولا يكفي في تعليلها سبب واحد فنذكر:

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، ص29 حتى ص42.

2. الأسباب التي أدت إلى ظهورها:[1]

أ. عدم وجود الدولة الجامعة:

ولسنا نعني المشكل الظاهري لمعنى الدولة الجامعة وإنما نعني عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة، فيحس أفراد هذه الأمة مرتبطون بهذه الأمة وخاضعون لها خضوعا يؤثر في سلوكهم وليس من اللازم أن تكون هذه الأمة في شكل دولة بالمعنى المفهوم للدولة بل قد يكون كذلك وقد تكون هذه القوة في صورة قانون يخضع له أفراد الأمة ويحبسون سلطاته على نفوسهم وسلوكهم وقد تكون غير ذلك فليس المهم في الشكل وإنما المضمون، فالقانون إذا فقد صفة الإلتزام وضعفت سلطته على النفوس بحيث لا يشعر الأفراد أنهم ملزمون بتنفيذه حيث أنه يفقد كيانه الحقيقي كقانون ويصبح مجرد اسم وهيكل لا حياة فيه ولا تأثير له وكذلك الشأن للدين والدولة وغيرهم فهذه القوة المؤثرة والجامحة هي التي تعني فقدانها في العرب قبل الإسلام فلم تكن لهم دولة جامعة ولا قانون جامع ولا دين جامع فأما عن الدولة فمن المعروف أنه لم تقم العرب قبل الإسلام فلم تكن لهم دولة تجمعهم في تاريخ كله وأنه لم يكن هناك إلا هذه الدويلات وهذه الإمارات التي قامت في جنوب الجزيرة وشمالها.[2]

---

[1]- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مكتبة الخفاجي.

[2]- الكامل للسرد، ج1، ص21.

ومهما يكن من شيء فلم يكن هناك دين يوصف المجتمع الجاهلي بالانتماء له وأما الوثنية فلا توصف بأنها دين وإنما هي مظهر من مظاهر البدائية لا تشريع له وقصارى تأثيرها في المجتمع من الناحية الروحية إرضاء جانب من غريزة التدين في الإنسان وإحساسه الفطري بالقوة الإلهية ولذلك يعبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" على أن عبادتهم للأصنام آلت إلى نوع من التنافس والعصبية حيث حصّنت كل قبيلة نفسها بإله تعبده وتتقرب إليه أما من الناحية الاجتماعية السلوكية فلم يكن لعبادتهم الأصنام فيها أثر فلم تحدثنا الأخبار فيما نعلم ان أحد منهم امتنع عن سلوك معين خوفا من الأصنام أو زاول أسلوبا معينا تقربا إليها وإذا كانت عبادة الأصنام لم تجعل أحدا من الأفراد العاديين في المجتمع ولم تستطع أن تمنع أحدا منهم عن شيء فأولى ألا تحمل وتمنع الصعاليك والفتّاك الذين لا يؤمنون بشيء إلا بشجاعتهم ضاربين بالمجتمع وما فيه وسخطه ورضاه عرض الحائط كما يقول أحدهم:

غلامٌ إذاَ ما هَمَّ بِالفَتكِ لَم يبلْ ألامتْ قليلُ أو كثيرُ عوادِلُهُ.

وحتى المشورة التي تواضع المجتمع على أنها سداد وحزم يرونها هم ترددا وعجزا كما يقول قائلهم:

وما العجزُ أن تشاورَ عاجزاً وما الحزمُ إلا أن تَهُمَ فَتفعلُ.

وتنتهي من هذا الحديث إلى أنه لم تكن هناك سلطة من دولة أو قانون أو دين تمنع وجود طائفة كالصعاليك تجحد على سلوكهم حين يوجدون.

ب.ظهور زعامات غير متزنة:

على عدم وجود هذه السلطة ترتبت عليها وجود أمور أخرى ساهمت في نشأة الصعلكة وانتشارها وأهم هذه الأمور ظهور زعامات غير متزنة في المجتمع الجاهلي فكانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر وهؤلاء الرؤساء لم يكن هناك قانون ينظم وصولهم إلى الرئاسة وإنما كانت هناك صفات تعارفوا على أن يسودوا من أجلها ومن يتحلى بها وإن اختلفت نظرة القبائل في هذه الصفات وصاحب الخزانة يسوق لنا طرفا منها نقلا عن الجاحظ في قوله: قال الجاحظ في كتاب شرائع المروءة: "وكانت العرب تسود على أشياء أما مضر فتسود رأيها وأما ربيعة فمن أطعم الطعام وأما اليمن فعلى النسب وكان أهل الجاهلية فلا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: الشجاعة، النجدة، الصبر، الجلد، البيان، والتواضع. وأصبحت في الإسلام سبعا وقيل لقيس بن عاصم بما أسأت قومك؟ قال يبذل: الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القرى وقد يسود الرجل بالعقل والعلم والعفة والأدب".[1]

ولكن مع ذلك نجد هذه الصفات ليست ملتزمة والرواة أنفسهم يتحدثون بذلك وصاحب الخزانة ينقل عن الأصمعي. قال الأصمعي: ذكر أبو عمر بن العلاء عيوب جميع السادة وما كان فيهم من الخلال والصفات المذمومة إلى أن قال: ما رأيت شيئا يمنع من السّؤدد إلا قد رأيناه في سيد فوجدنا الحداثة تمنع السؤدد وساد أبو جهل بن هشام وما ضرّ شاربه ودخل دار الندوى وما استوت لحيته ووجدنا النجل يمنع السؤدد وكان أبوا سفيان بخيلا عاهرا وكان عامر بن الطفيل بخيلا

[1]- خزانة الأدب البغدادي، ج2، ص269.

قاهرا وكان سيدا والظلم يمنع من السؤدد وكان كليب بن وائل ظالما وكان سيد ربيعة وكان حذيفة بن بدر ظالما.[1]

ويمكن أن نستخلص مما تحدثنا به الروايات عن نظرة العرب إلى السيادة أنها كانت تحتاج إلى دعامتين أولهما قوة الشخصية ونعني بقوة الشخصية للمدلول الخاص لهذا التعبير وليس لمجرد القوة أو شدة البأس وقد كان من القبائل من هذا النوع وكانوا يوصفون بأنهم الشجعان أو الفرسان أو الفُتّاك ولكن لم يوصفوا بأنهم سادة، والدعامة الثانية هي الوراثة ولو غير المباشرة بأن يكون طالب الزعامة من بيت ألفت فيه الزعامة سواء كان أبوه زعيما أو غير زعيم وليس هذا الحديث بما يعنينا لذاته وإنما يعني الموضوع منه أنه حين لم تكن لهؤلاء الرؤساء ضوابط أو أسس تقوم عليها رئاستهم تدفع بعضهم في بغي لم يتقبله المجتمع وظلم تأباه طبيعة المجتمع لم يألف الذل قَط بل ولا مجرد الخضوع ولكن هذا البعض استطاع أن يستغل بعض الظروف في شخصيته أو عصبيته فيطغى كما فعل كليب حين كان يحمي المراعي والوحوش ومواقع السحاب.[2]

وصور أخرى من البغي والطغيان من شأنه أن يدفع بعض النفوس الأبية إلى التمرد ومحاولة صدّه والخروج عليه كما فعل جسّاس بن مُرّة في قتله كليبا وكما فعل علقمة بن علاثة في صراعه مع عامر بن الطفيل الذي عده الأصمعي من السادة القاهرين الظالمين كما سبق. على انه من مظاهر ظلم هؤلاء السادة احتكارهم موارد الرزق المحدودة في البيئة، وتضييقهم بذلك على الناس بما في ذلك أقوامهم. ويدل على ذلك ما تفيض به الأخبار من ثرائهم الفاحش إذا توزن بالفقر الشديد الذي يعانيه الناس من حولهم ومن أمثلة البغي من مصادر الرزق من

[1]- خزانة البغدادي، ج2، ص27.
[2]- المرجع نفسه ، ج2، ص78.

احتجاز كليب لمراعي ومواقع السحاب لنفسه دون الناس جميعا بما فيه من قومه. وبذلك يكون هؤلاء السادة قد ساهموا في الظروف مع قسوتها في مجتمع محدود للموارد، ومن الطبيعي أن يكون هذا السلوك جانب من بعض الرؤساء وعاملا من عوامل تمرد بعض الأفراد ولجوئهم إلى وسائل كالصعلكة فإنه إذا كان في المجتمع من يأبى الظلم ويتمرد عليه ويرفض البغي ويتصدى له وإذا كان في المجتمع من يؤلمه الفقر الذي ساهم السادة في خلقه وإذا كان في المجتمع من تغريه أموال هؤلاء السادة بالتلصص إليها والسطو عليها فأولى الناس بذلك هم الصعاليك لأنهم أكثر الناس امتلاكا للوسائل المضادة وأقواهم على استخدامها سواء كانت مضادة البغي والظلم أو مضادة الإحساس بالفقر أو مضادة الثراء والغنى.[1]

[1]- خزانة البغدادي ، ص270.

ج. عدم التوازن بين الفقر والغنى:

أجمعت كتب اللغة ومعاجمها كما رأينا وكذلك للمعارف التي أخذت عنها على أن أصل الصعلكة الفقر ولا شك أن هذا يلقي ضوءا قويا على نشأة الصعلكة وكذلك في حياة الصعاليك المادية وحيث يبين منها هذا الضوء أنه أبرز ما قامت عليه الصعلكة في نشأتها وحياتها الفقر. فنجد شعر الصعاليك ينطق بهذه الحقيقة بل يمكن أن يقال أن الفقر كان أبرز المعاني التي ترددت في شعرهم على الإطلاق بل نكاد لا نجد شاعرا منهم يتحدث عن الفقر في صورة من صوره وصور الفقر عند الصعاليك لم تكن تمثل فقرا عاديا وإنما فقرا قاسيا مدقعا وكان أثرهم عن الهزال والحرمان أشد إمعانا في القوة فنجد السليك يرسم لنا صورة بيئة الصدق عن الجوع وأثره فيقول حتى في الصيف الذي تكثر فيه ألبان البادية وخيراتها يبلغ منه الجوع أحيانا أن يأخذه الدوار حين يقف.[1]

فمن الطبيعي أن لا يكون هناك توازن أو تقارب في الثروة بين الأفراد والجماعات في بيئة أبرز شرائعها السيف وكل ما كان الفرد أشد بؤسا أتيح له أن يحصل على أكبر قدر من كل شيء ومن هذه الأشياء الثروة وكل ما كانت الجماعة أو القبيلة أشد بؤسا وأرهب جانبا دنت منها الأهداف والغايات وفي مقدمتها الثراء وأخبار الثراء الفاحش الذي وصل إلينا بعض العرب دون الآخر تفيض بها الروايات والأخبار وبعضها مشهور كثيرا: عثمان بن عفان، وصفوان بن أمية منذ الجاهلية والآلاف التي تركها عبد الرحمان عند موته بل كان بعضهم يحكم لنفسه موارد الطبيعة من المراعي ومواقع الغيث المشهورة كقصة كليب المشهورة كما نجد من

[1]- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص43.

هؤلاء الأثرياء غالب أبو الفرزدق الذي أصاب الناس مجاعة فكان ينحر لقومه كل يوم.[1]

والذي يهمنا في الحديث عن التجارة والأسواق أنها كانت من العوامل المهمة في خلق الصعلكة فهذه القوامي التي كانت توغل في مجال الصحراء والتجار الذين كانوا يترددون على الأسواق في هذه الطرق والمجاهل وكل ذلك كان صيدا ثمينا يغري طوائف الصعاليك من قطاع الطرق وأصحاب الغارات والغزاة بأن يتعرضوا لها ويستمتعوا بالفوز بها بل أنه كانت تغري القبائل نفسها وعلى رؤوسها سادتها بأن يتعرضوا لها ويقاتل دونها ولذلك كان من المعروف عندهم أصحاب القوافل لا يستطيعون أن يسيروا هذه الطرق بقوافلهم إلا إذا أمّنوا القبائل التي يرمون بحلف أو إشادة أو خفارة قوية كما ورد في أخبار النعمان بن المنذر في لطائفه التي كان يتاجر بها في الأسواق.[2]

[1]- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص52.
[2]- المرجع نفسه، ص63.

د. طبيعة الأرض في الجزيرة العربية:

لقد كانت الجزيرة العربية بطبيعتها الجغرافية المتميزة ملاذا آمنا للصعاليك حيث الصحراء المترامية الأطراف والجبال العالية الممتدة ونذرة المياه وقلتها وصعوبة الطقس من شدة الحر والبرد كما جعل الصعلوك يشعر بنوع من الأمن على نفسه والبعد عن كل من يطلبه من أعدائه. لذلك كان عليه أن يكون عالما بمجاهل الصحراء يعرف دروبها وأوديتها وجبالها وواحاتها وطرق تجارتها حتى يعرف كيف يغزو وكيف يفر ناجيا بنفسه من عدوه، ولا عجب أن تجد في شعر العرب عامة والصعاليك خاصة ما يصور لنا جانبا من طبيعة البيئة القاسية التي كانوا يحيون فيها فهذا أمرؤ القيس يصف واديا مقفرا لا حياة فيه سوى الذئاب:[1]

ووادٍ كجوفِ العِيرِ قَفرٍ قَطعتهُ ... بِه الذئبُ يعوي كالخليعِ المعيلِ.

فقلتُ لـهُ لمـا عـوى إنَّ شَأننـاَ ... قليـلُ الغنـى إن كنت لمـا تهولِ.

كلانا إذا مـا نـالَ شيئـا أفاتـَـهُ ... ومَـنْ يحـرثْ وحـرثُكَ يهـزلِ.

وصف الشنفرى البرد الشديد الذي يجعل صاحب القوس يكسرها وهي التي لا غنى له عنها كي يتدفئ بها فيقول:[2]

وَلَيْلَةِ نَحْـسٍ يَصْطَلي القَـوْسَ رَبُّـــها ... وَأقْطُعَهُ اللَّاتـي بِـهَا يَتَنَبَّــلُ.

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي ... سُعَارٌ وإرْزِيـزٌ وَوَجْرٌ وَأفَكَلُ.

كل شيء في هذه الصحراء قاس وعنيف فلا عجب ان تنجب أبناء قساة أشداء، نجد أن الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من النهب إلا أنهم يفضلون دائما أن يكونوا في كنف هذه الطبيعة صعبة المنال فتجدهم بالغون الجبال والقفار والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها. وحين تنظر إلى شعرهم تجده حافلا بذكر

[1]- ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ص33.
[2]- بلوغ الأرب في شرح لامية العرب، ص205/204.

هذه الأماكن الوحشية كما نجد تأبط شرا يتحدث عن موضع موحش يخافه العرب لاعتقادهم أنه لا يخلوا من السعالي والغول فيقول:[1]

ألا مِـن مبلـغ الفتيان فهـم بمــا لقيت عند رحــى بطــان.
بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان.
فقلت لها: كلانا نضو أيـن أخو سفر فخلـي لـــي مكانــي.

إنها الطبيعة التي قست على أهلها ولكنها لم تخذلهم يوما بل كانت موطنا وملجأ ومسكن ألفوا العيش فيه. بل لقد كانت رواحلهم تألف العيش في هذه الطبيعة.

[1]- عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شران، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1، 2003م.

ه. التمرد والخروج على الأعراف السائدة:

إن الشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه مجتمع وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، وعقوبة شديدة في الإسلام ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذي تكثر جرائمه وجناياته بأن تعلن في مواسم الحج أو الأسواق أنها خلعت (فلان) فلا تطالب به إذا اعتدي عليه ولا يلحقها من جريرته إن اعتدى على أحد فعرف هؤلاء بعد ذلك بالخلعاء مثل قيس بن الحدادية الذي خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه.

إن هؤلاء الصعاليك فرغوا حياتهم لمزاولة الأعمال العدائية من سطو وقطع للطريق واعتداء على الممتلكات فمن هؤلاء المحيمر السعدي وأبوا الطمحان القيني وصخر العن الهذلي وغيرهم.[1]

فننهي في هذا الحديث إلى أن الفقر كان من الأسباب البارزة في الصعلكة إلا أنه بذاته لم يكن السبب الوحيد ولا الأهم وإنما الأهم هو احتكاكه بالغني، غنى أصحاب الإبل في البادية أو أرباب المخائض كما يسميهم الصعاليك في شعرهم وغنى أصحاب التجارة في المدن والبلاد وهذان المجالان، مجال التجارة ومجال المخائض أهم مجالات الصعاليك كما كان الصعاليك أهم خطر يهدد هذين المجالين ولذلك نرى يزيد بن السقيل العقيل أحد الصعاليك يمّنُ على أصحاب المخائض بعد توبته ويشيرهم بالأمن والإطمئنان بعد هذه التوبة فيقول:

ألا قل لأرباب المخائض أمهلوا فقد تــاب مما تعلمون يزيد.

[1]- الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة بيروت، ط2، 1990م. ج19، ص137.

الفصل الثاني:
صورة المرأة في شعر الصعاليك

المبحث الأول : صورة المرأة الأم:

لقد شاء للصعلوك وشاء له واقعه أن ينفرد بموقعه اتجاه المرأة وعالمها، فاتسمت علاقته بها بمنطق المغايرة وخصوصيات تروى، وإن كان هذا المنطق وهذه الخصوصيات جاءت لتواصل خط التفرد الذي دأب عليه الصعلوك في حياته. فإنها في الكثير من الأحيان كانت تفرض نفسها عليه دون أن يكون له دخل في اختيار هذا الأمر جليا من خلال علاقة الصعاليك بأمهاتهم.[1]

وعندما نتمعن المادة الشعرية القليلة التي قدم من خلالها الصعاليك صورة الأم نجدهم يتحدثون إما بمنطق الخصوصية وإما بمنطق العمومية[2]، على أنّ لكليهما أبعادا أو انعكاسات اجتماعية بحكم الموقع الذي تحتله الأم في المجتمع والدور الذي تؤديه في نشأة أولادها وكذا النسب الذي تنقله إليهم فكان من الطبيعي أن يأخذ حديث الصعاليك عن أمهاتهم في إطار الخصوصية أبعادا عامة.

فكانت الأم في حياة الصعلوك إحدى صور المقامات التي تميز بها عن الشعراء القبليين ومَرَدُّ ذلك بالتأكيد هو ضبط النسب من جهة الأم سِمة كانوا يتعيّرون بها كما أن أغلبهم كانوا من الهجناء وأبناء الإماء، ومن ثم فقد شكلت الأم عبئا آخر يضاف إلى الأعباء الكثيرة التي عاشها الصعاليك.[3]

وبالعودة إلى الشعر الجاهلي فلا يخفى على دارسه أن الأم كانت محل تفاخر بين الشعراء، وقد انتسبت عدة قبائل عربية إلى أمهاتها مثل خندق وجديلة ومزينة وعمراء وحبّابة... وغيرهم وكذا فإن العديد من رجالات العرب انتسبوا إلى أمهاتهم مثل "عمرو بن هند" وتعاظما وتفاخرا ولكن الأمر بالنسبة للصعاليك يأخذ

---

[1]- علي الهاشمي، المرأة في العصر الجاهلي.
[2]- نفس المرجع.
[3]- نفس المرجع.

منحى آخر فكانت نسبتهم إلى أمهاتهم تحل معنى تحقير وتذليل كما هو الحال عند السليك بن السلكة وقيس بن الحدادية وغيرهما، وعلى الرغم من ذلك كانت صلة الصعاليك بأمهاتهم أقوى من صلته من آبائهم خاصة طائفة الأغربة.

ومن الذين تبنوا هذه العصبية "الشنفرى" وذلك في مطلع لاميته المشهورة، هذا مع تسجيل الخلاف الوارد حل كونه من الأغربة السود أم لا؟

فنجد شوقي ضيف يثبت له هذه الصفة وذلك بقوله: أما الشنفرى فكان من عشيرة الاواس بن الحجر الأزدية اليمنية فهو قحطاني النسب. فيدل اسمه الذي معناه غليظ الشفاه بما أن أمه حبشية فقد ورث عنها سواد البشرة في أغربة العرب بالعودة إلى الأبيات الأولى من اللامية في قوله:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإنـــي إلى قوم سواكم لا أميل.

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات المطايا وأرحل.[1]

ففي الأبيات التالية نجد الشنفرى ينادي و يستوقفهم بالنداء قومه -بني أمي- وما يثيره في النفس الود والشفقة والتراحم، إذ يؤذنهم بالرحيل فبالرغم من طردهم له إلى أنه في هذه القصيدة ينسب نفسه لهم في قوله: فاني الى قوم سواكم لا أميل.

كما أن الشنفرى تعمدّ قومه إلى إضافة إلى أمه دون أبيه إدراكا منه لخصوصية الصلة لأنها أقرب الصلات إلى العاطفة والمودة، فالأم شأنها الحُنُوُّ والأولاد من شأنهم المودة والتراحم، وهو ما لم يكن بينه وبين قومه، فرغم أنهم أبناء أم واحدة إلا أنهم خرجوا معه من حيز التصافي إلى المنافي.[2]

[1]- ديوان الشنفرى، لامية العرب للشنفرى.

[2]- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص249.

فجاء في حوار الشنفرى حول أمه على سبيل الإطلاق والتعميم الجامع لأبناء الطائفة، وذلك إدراكا منه لمكانة الأم وخصوصية العلاقة الناشئة عنها، فالأبيات التي بين أيدينا تكشف المنزلة والمكانة السامية التي تحتلها الأم سواء في المجتمع أو في نفس وتفكير الشاعر.

وليس غريبا تماما على الشنفرى في مثل هذا الموقف لأن صلته بأمه -كما ذكرنا- بصفته أحد الأغربة السود قوية ومتينة. كما أنه لا يتوانى في وضع أخر عن الفخر بأمه حيث يقول ردا على الفتاة أو الجارية السلامية التي لطمته على وجهه وأنكرت عليه أن يكون أخاها.[1]

أَلا لَيتَ شِعـرِيَ وَالتَلَهُّفُ ضَلَّـــةٌ بِما ضَرَبَت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَهـا.
وَلَو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدي وَوالِـدِها ظَلَّت تَقَاصَـرُ دونَهـــا.
أَبي اِبنُ خِيارِ الحُجر بَيتاً وَمَنصِباً وَأُمّي اِبنَةُ الأحرَارِ لَو تَعرِفينَها.

فهنا وكما توضح لنا من خلال الأبيات افتخار الشاعر بأمه ووصفها لنا بأنها ابنة الأحرار، ولكن هاته الأبيات تضعنا أمام إشكال موضوعي يتمثل أساسا في جعل الشنفرى أمه من الحرائر بالرغم ما نعرفه من أنها كانت أمة حبشية كما أنه بنفسه يصرح أنه من هجين فنجد هذه الأبيات تضعنا أمام تناقص واضح، وبصرف النظر عن هذه الآراء وهذا التناقض فإننا نجد الشاعر رغم علمه بأن أمه أمة سوداء فقد حاول الارتقاء بها إلى منزلة النساء الحرائر نظرا للمنزلة الرفيعة التي تحتلها في نفسية الشاعر. وهو بطريقة أخرى يريد أن يقول: إن أمي هي ابنة الأحرار وإن كانت أمة فهي في نظره حرة، وربما يقصد هنا أفعالها وأخلاقها التي تضاهي ما تقوم به النساء الحرائر في المجتمع الجاهلي ومثل هذا النمط من

[1]- القصة والأبيات موجودة في كتاب الأغاني ج21، ص102/101.

التفكير نجده كثير التردد في أشعار الصعاليك بحيث لا يقرون النقص في أنفسهم وسيردون دوما إلى إثبات تفوقهم ومضاهاة أفعالهم لأفعال أولئك السادة والفرسان الذين يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك قول السليك:

فإني يا ابنة الأقوام أربي على فعل الوضي من الرجال.[1]

فالسليك خاطب هذه المرأة مخبرا إياها بأنه يزيد بأفعاله على أفعال أولئك الرجال ذوي المظهر الحسن الجميل الذي أعجبت بهم دونه.

وإن كانت هذه حال الشنفرى مع أمه فالوضع يختلف بالنسبة إلى عروة بن الورد يختلف قليلا، فإذا كان الشنفرى يجسد موقف العبيد في مواجهة السادة فإن عروة يمثل موقف السادة فيها بينهم. إذ أنه شريف النسب من جهة أبيه إلا أن أمه لم تكن على قدر من الأصالة بحيث تضارع أصالة الأب، وهذا الضعف في النسب لم يكن بالشيء المقبول في القبيلة العربية . فقد كان عروة دائم السخط على هذه الصلة التي جمعتهما بأبيه[2]، لأنه كان يرى في نسب أمه أو في نسب القبيلة التي تنحدر منها تقليلا وانتقاصا من شأنه ومنزلته، لأنها ضعيفة النسب ولا تليق بفارس من فرسان عبس الأماجد فيقول:

لا تلم شيخي فما ادري به غير أن شارك نهدا في النسب.

كان في قيس حسيبا ماجدا فأتت نهد على ذاك النســـب.[3]

[1]- ديوان السليك بن سلكة، ص88.
[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص316.
[3]- ديوان عروة بن الورد، ص28.

فقد تطور به هذا السخط على تلك العلاقة بين أبيه وأمه إلى حد هجاء أخواله هجاءا مرّ لأن "بني نهد" قبيلة أمه ليسوا من مرتبة قبيلة عبس، وفي هذا يقول عروة:

ما بي من عار إخال علمتـــه سوى أن أخوالي نسبوا نهد.
إذا ما أردت المجد قصر مجدهم فأعيا علي أن يقاربني المجد.
فيا ليتهم لم يضربوا في ضربة وأنيَ عبْدٌ فيهمُ، وأبي عبدُ.
ثعالب في الحرب العوان فإن تنج وتَنفرِجِ الجُلّى، فإنّهمُ الأُسْدُ.[1]

فعلى الرغم من موقف الشاعر هذا من أخواله فإنه لم يتعرض لأمه بهجاء ما، وإنما كل ما ذكره أنهم كانوا يعيرونه بها في قوله:

هم عيروني أن أمي غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير.

فيحكي أنه في إحدى المرات وبينما القوم في ضيق وهزال شديدين إذ سير الله لهم رجلا صاحب مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه، فقتله عروة وأخذ إبله وامرأته، وكانت من أحسن النساء. فأتى بالإبل أصحاب الكنيف وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها عليهم وأخذ كل نصيب فأخذ مثل نصيب أحدهم واستأثر بالمرأة لنفسه، فقالوا لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها. فجعل بهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع.[2]

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص38.
[2]- المرجع نفسه، ص70.

فيقول في قصيدته الآتية:

فإني وإياكم كذي الأم أرهنت له ماء عينيها تفدي وتحمـل.
فلمـا ترجـت نفعـه وشبـابـــه فباتت لحد المرفقين كليهمـا.
أتت دونها أخرى جديد تكحل توحوح ممـا نابـها وتولـول.
تخير من أمرين ليسا بغبطـة هو الشكل، إلا أنها قد تجمل.[1]

فمن خلال هذه القصيدة يعبر الشاعر عن خيبة أمله ورجائه في أصحاب الكنيف، حيث كان ينتظر منهم الشكر والعرفان بالجميل لرعايته لهم ووقوفه إلى جانبهم وقت الضيق، وإذا بهم وقد استغنوا وأصبحوا في سعة من العيش نسوا فضله عليهم. فهو كتلك الأم التي ترعى وليدها حتى إذا كبر ورجت نفعه ذهب معروفه إلى غيرها.

كما نجد الشاعر من خلال الأبيات السابقة رسم لنا لوحة فنية حزينة مؤثرة ضاجة بالأحاس و المشاعر والوجدان المتضاربة والمتداخلة ما بين الحب والمودة والإخلاص وبين خيبة الرجاء والحزن الذي ينفطر له القلب، فإن هذه الأم المسكينة التي ترعى وليدها وتشمله بالحب والعطف والحنان وتتعهد حمايته ومكابدته حتى إذا اشتد عوده وبلغ مرحلة الشباب فراحت الأم تنتظر ثمار جهدها وترتجي خير وليدها ونفعه وقد صار شابا فإذا به يتزوج امرأة جديدة راحت تتزين وتتجمل فتغلب الزوجة الأم على الابن فنسى أمه وتركها وأهمل شأنها.
تفنيد وبراعة الشاعر واضحة في نسج خيوط هذه الصورة النفسية من خلال ما حشده لها من ألفاظ موحية ودالة، وما ضمنها من مشاعر مؤثرة تهتف بصوت الوجدان وتمثل معاناة المرأة الإنسان، ومستخدما في رسم هذه الصورة لونا من ألوان الحياة النفسية التي تعرفها الإنسانية في مختلف عصورها.

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص71.

ففي ختام هذا المبحث حول المرأة الأم في شعر الصعاليك يبدو لنا ذلك الاقتصاد الشديد في انتقاء عناصرها اللغوية وجاءت مركزة قليلا. فقد قصد الصعلوك من خلالها إلى التعبير عن قضاياه وأحاسيسه ومواقفه من الحياة وأناس من حوله.

فمن خلال ما أقررنا في السابق أن تلك العلاقة المميزة بين الصعلوك وأمه كونه لم يعرف عطف الأب منذ صغره ، فكانت الأم أقرب مخلوق إليه. فأم الصعلوك تختلف عن أم أي شخص آخر في المجتمع الجاهلي لأنها في الأغلب كانت أما أمة أماً سبيةً ووضيعة النسب لأن المجتمع الجاهلي لن يكف عن النظر إليه بعين الاحتقار والازدراء من واقع صفة أمه التي كانت أو لا زالت عليها أمه. فرغم كل معاناة الصعاليك وبلغة التحدي التي لهج بها الصعاليك فإنهم حاولوا مجاوزة وتجاوز هذا الواقع ولم يسمحوا لأنفسهم بتوجيه أي نوع من السخط أو الإهانة لأمهاتهم أو الأم بصفة عامة فقد ظلت نظرة الإجلال والتعظيم والإكبار بها راسخة في أذهانهم كما في أشعارهم.

المبحث الثاني: صورة المرأة الزوجة في شعر الصعاليك:

لقد كانت المرأة الزوجة عنصرا فعالا بارزا في شعر الصعاليك أفاق المرأة المحبوبة في أغلب شعرهم وهذا ينم عن مكانة عالية تبوأتها الزوجة عند زوجها، حيث كانت تتحمل معه كل متاعب الحياة وتقف معه وإلى جانبه في السراء والضراء إن الزوجة بالنسبة له تمثل الحاضر والواقع الذي يعيشه، الواقع الذي يحب العمل من أجله والسعي من أجله أجمل حياة له. إن الزوجة في شعر الصعاليك هي تلك المرأة المهمة والفعالة والمحبة لزوجها والحريصة على حياته ونفسه وماله ولقد اتخذ الحديث مع الزوجة في هذه الأحاديث الاستهلالية إشاعات متعددة فكان يخاطبها بلهجة مفعمة بالود والتحبب وبألقاب متنوعة فيها تكريم وإشهار بالعزازة، والزوجة في شعر الصعاليك غيرها في شعر الأمراء وأبناء البيوتات وهي تختلف في شعر شاعر منهم عنها في شعر شاعر أخر، فعروة بن الورد مثلا وهو أحد الصعاليك كان عطوفا محبا لزوجته، وهذا يظهر جليا في مخاطبته لها في كثير من شعره، لذلك نجدها حاضرة على الدوام في حوارات هادئة تنم عن علاقة ود وحب تربطهما وكذلك نجد أن النساء ما كانت ترغب في تأبط شرا لمغالاته في الخشونة في حياته، كذلك كان الشنفرى خشنا في معاملته مع زوجته وكان قيس بن الحدادية محبا لزوجته مثل عروة وهي تحبه وتخشى عليه الأخطار.[1]

إن شعر الصعاليك يصور لنا المرأة الزوجة على أنها تلك المرأة المحبة لزوجها والمتوددة له التي تحمل همه وتخاف عليه فتلومه حينا وتهجره حينا وتبكي عنده ومن أجله حينا آخر كما يظهر شعرهم صبرهم على نسائهم في رفق ولين ومحبة وتقدير، فشعر عروة والشنفرى وتأبط شرا وعمر بن براق وقيس بن الحدادية

[1]- علي الهاشمي، نظر المرأة في العصر الجاهلي، ص142/141.

وأبي حُراش، وعبدة بن الطيب والسليك وغيرهم، يؤخر بالحوارات الصادقة مع الزوجة مما يدل على حضورها البارز في شعرهم.

الصفات المادية للزوجة:

لقد كانت الزوجة في شعر الصعاليك تمثل في كثير من الأحيان المحبوبة التي يشتاق لها زوجها، ولا يجد حرجا في ذكرها والتودد إليها بشوق وحرقة ولعل الحياة القاسية التي كان يحياها الصعاليك والتي فرضت عليهم العيش بعيدا في مجاهل العراء، حيث السفر الطويل والغزو المتكرر والغربة عن الأهل كما هذا جعل الصعلوك دائما يتوق في الحياة المستقرة الهادئة في حضن بيت دافئ وزوجة عطوفة إن هذه الزوجة كانت كثيرا ما تلفت نظر الشاعر الصعلوك بصفاتها المعنوية التي يحبها العرب عادة في نسائهم بل هي الصفات التي يسعد للمرأة وشرفها أن توصف بها كما نجد الشنفرى يخاطب زوجته ووصفها وصفا روحيا سلميا:[1]

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها ... إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ.

تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها[2] ... لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ.

تَحُلُّ بِمَنجاةٍ[3] مِنَ اللَومِ بَيتَها ... إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ.

كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً[4] تَقُصُّهُ ... عَلى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمكَ تَبلَتِ.

إن زوجة الشنفرى كما يروى هي امرأة حريصة بعيدة عن الربا عفيفة شديدة الحياء وقناعها لا يسقط عنها لشدة حيائها، كما أنها لا تكثر التلفت لأن هذا الفعل

[1]- المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المفضليات، ص109.
[2]- الغبوق: ما يشرب بالعشي.
[3]- المنجاة: مفعلة من النجوة وهي الارتفاع.
[4]- النسي: الشيء المفقود.

من أفعال الريبة، كما تهدي لجارتها الشراب في وقت يعم فيه الجذب ويقل فيه الطعام وإذا مشت تمشي بحياء، إن هذه الصفات الخلقية من أفضل الصفات التي تحرص المرأة العربية على أن توصف بها ويحرص الزوج على وجودها في زوجته. كذلك هي زوجة أمينة تحفظ سر زوجها ولا تفشيه ولا تذكر زوجها أمام الناس إلا بما يحب ولا تغادره يقول:[1]

أميمة لا يخزي نثاها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلت.

إذا هو أمسى آب قرة عينه مآب السعيد لم يسل أين ظلت.

كما أن الصعلوك كثير التنقل، يطيل البعد عن بيته وزوجته لذلك نجده يعجب بهذه الصفات في المرأة لأنه أحوج الناس لزوجة وفية تصون نفسها وتقر في بيتها وتحافظ على شرفه، فلا تهتك له سرا، ولا تعجب له أمرا وبذلك نجده ينطلق في رحلة البحث عن الرزق هادئ البال مطمئنا لأن خلفه زوجة عصية على الأهواء جمعت كل الصفات الحسنة، في مجتمع تنكر له، فلا عهد ولا ذمة ولا وفاء في مجتمع لا يعرف إلا الغدر والخديعة، لذلك فهو يجدها متجسدة في زوجته فيجد فيها الصدر الحنون الذي يفقده، والوفاء والصلة والراحة إنه الحضن الدافئ الذي يجد فيه ما لا يجده في مجتمعه، لذلك نجد العرب يحرصون على الزواج من الشريفة العفيفة، التي نشأت منشأ حسنا حيث أنها ستصبح مسؤولة عن بيتها وزوجها وأبنائها وهذا ما يقوله عبيد بن أيوب:

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث النجل خبث الحلائل.[2]

[1]- المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المفضليات، ص109.

[2]- الجاحظ، الحيوان، ص138،تحقيق عبد السلام هارون، ط2، 1966م.

إن زوجة الصعلوك تحب زوجها تخاف عليه من مخاطر الصعلكة التي لا حدود لها وتظل قلقة من المجهول الذي ينتظره فلا تطمئن إلا إذا وجدته بجانبها قريبا منها ومن هنا تجد سعادتها[1] كما يقول عروة:

تقول سليمى لو أقمت لسرنا ولم تدرِ أني للمُقامِ أُطوّفُ.

نجد حب الزوجة لزوجها يجعلها تحاول استمالة قلبه، واستعطافه عن طريق الدعاء من أجل أن يدع الغزو ويبقى بجانبها لأنها لا تطيق فراقه ولا تقدر على العيش بدونه يقول عروة:[2]

تقولُ: ألا أقصرْ من الغزو واشتكى لها القولَ طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ.

سأُغنيكِ عن رَجعِ المَلام بمُزْمِعٍ[3] من الأمر لا يعشو عليهِ المطاوع.

لقد أبرز ما يميز هذين البيتين ظاهرة الحزن المتبدية في عين الزوج الصعلوك حيث استطاع أن يفهم لغتها ويكشف أسرارها. لذلك راح يديم النظر في عينها وما تحتبسها من دموع أفرزتها مشاعر الحب والخوف والحزن فهناك أشياء يعجز لسان المرأة عن البوح بها إلى شريكها فهو يفهم ما يدور في خلدها من مطالب ورغبات وعروة ذلك الصعلوك الفارس يحس بزوجته ويعلم ما ينتابها من مشاعر القلق والخوف وكذلك الحزن ليس له أي تأثير على الصعلوك فهو لا يهزمه.

علما بأنه أشد واقعا من ألم المدعية كما نجد عروة يذكر جمال زوجته فيقول:

فِراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُه ولم يلهني عنه غزال مقنع.

أُحدّثُه، إنّ الحديثَ مِن القِرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع.[4]

---

[1]- ديوان عبيد بن أيوب، ص87.

[2]- ديوان عروة بن الورد، ص82.

[3]- مزمع: من أزمع الأمر أي قرره.

[4]- ديوان عروة بن الورد، ص83.

إن الصعلوك يهمه كثيرا أن تعرف زوجته فصائله وأخلاقه لأنه يهمه رضائها لأن رضاء النساء عن أزواجهن كان يوقد في نفوسهم العزم وهم جعلوا من أزواجهم مرايا تريهم صور نفوسهم وموازين تظهر لهم قيم فضائلهم وكان رضاءهن أكبر مسلوة يلجؤن إليها في الشدائد[1] لذلك صور لنا عروة زوجته في صورة المرأة العالمة بصفات زوجها وأخلاقه، فهي تحسن التعامل معه فيقول:

وقد علمت سليمـى أن رأيي ورأي البخـل مختلـف شتيت.
وأنــي لا يريني البخل رأي سواءٌ إن عطِشتُ، وإن رويت.
وأني، حينَ تشتجرُ العَوالي[2] حوالــي اللب ذو رأي زميت.[3]

إن الزوجة كغيرها من النساء تحب المال وتفضل الرجل الغني فالزوج إن لم يكن غنيا كان موضع ازدراء من الزوجة التي تحب المال فالفقير لا دور له عند الزوجة أما الغني مهما كان وزنه ينعم بالاحترام والتقدير وتقبل خطاياه ويغفر له يقول عروة:

رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقير دعِينـي للغنـى أسعـى فإنّي.
وأبعدُهم وأهونُهم عليهـم وإن أمسى له حسب وخير.
ويُقصِيهِ النَّدِيُّ، وتَزْدرِيهِ حليلتـه وينهـره الصغيــر.
ويلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطيــر.[4]

[1]- علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص144.
[2]- تشتجر العوالي: أي الإختلاط.
[3]- ديوان عروة بن الورد، ص50.
[4]- ديوان عروة بن الورد، ص54.

كما أن المرأة تحب الحلم في الرجل فهي برقتها وضعفها تميل إلى الرجل الحليم الخلوق الذي يحسن معاملتها ويرفق بها، ولا يخشن ويقسو عليها لذلك نجد زوجة سعد بن ناشب تستنكر على زوجها فيجيبها قائلا إن الكريم مع ابنه وحسن تعطفه لا بد أن يتخلق بأخلاق أمه من الصبر صونا لعرضه وشرف نفسه فالصعلوك الذي يجابه مجتمع بأكمله لا بد أن يكون صارما شرسا حيث يرى أن اللين ضعف فاللين له وقته وناسه والشدة لها وقتها وأهلها فهو لين على من لان له وشرس شديد على من جابهه وقسا عليه يقول سعد بن ناشب:[1]

تفندني فيما ترى من شراستي[2] وشدة نفسي أمُّ سعد وما تدري.
فقلت لها إنَّ الحليم وإنْ حلا يلفى على حال أمرَّ من الصبر.
وفي اللين ضعفٌ والشراسةُ هيبةٌ ومن لم يهبْ يحملْ على مركب وعر.
وما بي على من لان لي في فظاظةٍ ولكنني فظٌّ أبيَّ على القسر[3].
أقيم صغاذي[4] الميل حتى أردهُ وأخطمه حتى يعودَ إلى القدر.
فإنْ تعذليني تعذلي بي مرزءاً كريم نثا الأعسار مشتركَ اليسر.

[1]- ديوان الحماسة لأبي تمام، ص271/270.
[2]- الشراسة: سوء الخلق.
[3]- القسر: القهر.
[4]- أقيم صغاذي: أي أقيم عوج المعوج.

صفاتها المادية في شعر الصعاليك:

لم ينشغل الصعلوك بالجمال الخلقي عن الجمال الخلقي بل إن الصعاليك أعاروا الشكل الخارجي للزوجة بعض الاهتمام لأن الصعلوك بطبيعته مفطور على حب الجمال حيث يبتعد عن المقاييس الحسية الجسدية فيضاف وصف الزوجة بالغزال يختصر كثيرا عن الكلام أو الوصف حيث أن الغزال يعني الرشاقة والخفة واللطافة وجمال العينين إضافة إلى البراءة والجمال ويصف السليك زوجته بحسن القوام وطول العنق فيقول:[1]

وَرُبَّ قِرنٍ قَد تَرَكتُ مَجدول وَرُبَّ زَوجٍ قَد نَكَحتُ عُطبول[2].

حيث نجد الزوجة شغلت حيزا هاما في حياة الصعلوك العاطفية فقد أحبها واستدعي اتجاهه جمالها الموشح بالوقار اللطيف الذي قل أن وجدناه في أحاديث الشعراء والطارقة العجيبة فكان إذا غضب من زوجته يذكر من صفاتها ما لا ترغب فيه فعروة يصف زوجته أم وهب وهي نائمة متوسدة ذراعيها فيقول:

تَبيتُ على المرافقِ أمُّ وهبٍ وقد نام العيون لها كتيت.

إذا كانت طبيعة حياة الصعاليك قد حددت صلتهم بزوجاتهم فإنها قد حدت من اتصالهم بهن أيضا فكان غيابهم عنهن أطول من وجودهم بقربهن لذلك كانوا بأمس الحاجة إلى تلك اللحظات الوجدانية التي تعيشها معهم زوجاتهم بقول الشنفرى:[3]

فَبِتْنَا كأنّ البَيْتَ حُجِّرَ[4] فَأْقَنَا بِرَيْحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ.

بِرَيْحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ[5] نَوَّرَتْ لها أَرَجٌ[1] ما حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ.

---

[1]- ديوان الصعاليك، ص193.
[2]- العطبول: طويلة العنق الحسنة القوام.
[3]- ديوان الشنفرى، ص49.
[4]- حُجِرَ: أُحيط.
[5]- حلية: أرض غليظة نباتها أطيب من غيره.

لقد عاش معها لحظات من الحياة يحيط بها الجمال اليخضوري من كل جانب هذا الجمال الذي افتقده الصعاليك في حياتهم إنه الفردوس المفقود الذي يهم به بعد أن يفرغ جهده في غارة من غاراته اليومية كما أن تعلقهم بزوجاتهم يلفت الانتباه وهذا واضح في شعرهم وربما يرجع ذلك إلى كثرة أسفارهم وبعدهم عن أوطانهم وهذا ما يجعلهم يتشوقون إلى زوجاتهم لذلك تجدهم يتفكرون أهلهم في ساعات الشدة والخطر.

فهول المعركة واحتدام القتال لا يحول بينه وبين تذكر زوجته وأبناءه فيقول الأعلم الهذلي:[2]

وذكرت أهلي بالعراء وحاجة الشعث التوالب.
المصرمين من التلاد اللامحين إلى الأقارب.[3]

إن الصعلوك لا يستطيع أن يتجاهل حبه لزوجته وحنينه إليها في غزواته وغاراته وفي فخره بنفسه وبجماعته من الصعاليك يقول الشنفرى:[4]

ألا هـلْ أتــى عنّـا سعـادَ ودونـهـــا مهامةُ بيدٌ تعتلي بالصَّعـــالكِ.
بأنَّا صبحنا العوصَ في حرِّ دارهمْ حِمامَ المَنايا بالسُّيوفِ البواتِكِ.
ظَلَلْنـا نُفَـرِّي بالسُّيـوفِ رُؤوسَـهُـمْ ونَرْشُقُهُمْ بالنَّبْلِ بَيْنَ الدَّكَادِكِ.[5]

---

[1]- أرج: الرائحة.
[2]- من ديوان الهذليين، ص315.
[3]- العراء: صحراء لا نبات فيها، الصرم: المقل الذب لا مالا له.
[4]- ديوان الصعاليك، ص36.
[5]- المهامة: جمع مهمة وهي الصحراء الواسعة، العوص: اسم موضع وهو جب من بجيلة، نفري : نقطع.

ويبلغ الأمر أقصاه حينما يحضره ذكرها وهو على حافة الموت فالسليك بن السلكة تلح عليه صورة الزوج الفتية حينما حوصر حصار الموت وصل الأمر إلى الهلاك فيقول:

مَـن مبلغ جِذمـي بأنِـي مقتـولْ.
يا رُب نَهب قد حويتُ عُثكول[1].
رُبّ قِرن[2] قد تركت مجدولْ.
ربَّ زوج قد نكحت عُطبول[3].
وربَّ عـانٍ قد فككتُ مكبول[4].
ورب واد قد قطعت مسبــول.

في هذا الرجز الذي جاء وليد الانفعال المنبعث من هذه المواجهة الحادة مع الموت تتقلص ملامح المرأة المعنوية وتبرز بشكل واضح صفاتها الأنثوية حاملة دلالات حسية تشد الشاعر إليها ليعبر من خلالها عن تمسكه الشديد بالحياة فالحبس في وجهه الإيجابي هو صانع الحياة أو بعبارة أخرى يحمل وعدا بتجدد الحياة واستمراريتها والتغلب على شبح الموت المخيف ولعلنا نلمس في استحضاره الرغبة الحسية نوعا من الفخر الممزوج بالحزن والأسى المعيقين في حياته التي أمضاها في المكافحة والجهاد من أجل حريته وحرية أبناء جنسه فقد حرمته من الاستئناس بالمرأة والتمتع بوصلها وأنى له ذلك وهو الشارد في القفار أبدا حتى انه لطول إلفه جعله أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها[5] كان من الصعب عليه إذا أن يصل امرأة أو أن تصله وإن كنا لا نلقي ذلك إلا أن صلته بالنساء كانت واهية

[1]- العثكول: عنقود التمر.
[2]- القِرن: الشجاع الثابت في القتال.
[3]- العطبول: المقتول.
[4]- المكبول: المقيد.
[5]- الأغاني، ج20، ص386.

لطبيعة الحياة التي يعيشها ولكن حاجته إلى المرأة كانت كامنة في أعماقه، استطاع أن يقمع رغبته فيها إلى حين ولكن سرعان ما أخذت هذه المشاعر تطفوا على السطح عندما اشتدت عليه المصائب واسودت الدنيا في عينيه فعظمت حاجته إلى المرأة التي هي الواحة الخضراء في صحراءه وأعلن عن هذه الرغبة وازداد من أجلها تمسكا بالحياة وبما فيها من حلاوة ومرارة وسعادة ومغامرة.

لقد مثلت المرأة هنا حدثا هاما من أحداث حياته التي لخصها قبيل مقتله، يحس المرء حين يستقرئ هذه الأحداث ذلك الفخر المسكون بالحنين الموشح بالأسى وعلى الرغم من أن الماضي لم يشكل حيزا هاما في حياته وهذه هي صورة المرأة الزوجة عند الصعاليك حيث كانت عنصرا هاما في حياتهم لها مكانة رفيعة لا يمكنهم الاستغناء عنها.[1]

[1]- المرجع نفسه، ص390.

المبحث الثالث: صورة المرأة المحبوبة في شعر الصعاليك:

ولقد كانت المرأة المحبوبة عنصرا فعالا وبارزا في حياة الصعاليك حيث كانوا يتغنون بها ويتغزلون بها فهي جزء من حياتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فنجد عدة أشكال وعلاقات بين الشاعر الصعلوك والمحبوبة في الشعر تبرز صورتها منها:

1) الوقوف على الأطلال:

حاولنا تتبع بعض قصائد الصعاليك التي بدأت بالوقوف على الأطلال لكل من الجاهليين والإسلاميين وذلك من أجل استيضاح الصورة وبيانها يقول عمر بن براقة:[1]

عَرَفَت مِنَ الكُنودِ بِبَطنِ ضَيمٍ فَجَوٍّ بِشـائِمٍ طَلَـلاً مُحيـــلا.
تَعَفّـى رَسمُـهُ إِلّا خِيامـــــاً مَجَـلَّلَةٌ جَـوانِبُها جَليـــــلا.
عَداني أَن أَزورَكَ أَنَّ قَومــي وَقَومُكَ أَلقَحوا حَرباً شَمولا.

فالشاعر يتعرف على ديار محبوبته التي منع من زيارتها بسبب الحرب التي بيم قومه وقومها وهذا يكشف جانبا من حياة الصعلوك حياة التشرد والشتات التي تنعكس سلبا على حياتهم العاطفية وتحدد معالم العلاقة بين الصعلوك ومن يحب حيث يصير اللقاء متعذرا أحيانا. كما نجد عروة يتحدث عن ديار محبوبته فيقول:[2]

عفت بعدنا من أم حسان غضور وفي الرحل منها آية لا تغيـر.
وبالغـر والغـراء منهـا منـــازل وحول الصفا من أهلها متدور.
ليالينـا إذ جيبهـا لك نـاصـــــح وإذ رِيحُها مِسكٌ زكيٌّ وعنبر.

---

[1]- ابن المبارك، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص845.
[2]- ديوان عروة بن الورد، ص71.

وأما قيس ابن الحدادية فيذكر ديار محبوبته ويدعو لها بالسقيا فيقول:[1]

سقــى الله أطلالا بنعـم ترادفـت بهـن النـوى حتـى حللـن المطـاليـا.
فإن كانت الأيـام يا أم مـــــالك تسليكـم عنـي وترضـي الأعـاديـــا.
فلا يأمنن بعدي امرؤ فجع لـذة من العيش أو فجع الخطوب العوافيا.
وبدلت من جدواك يا أم مـــالك طـوارق هـم يحتضــرن وســـاديا.
وأصبحت بعد الأنس لابس جبة أساقـي الكمـاة الـدارعيـن العـواليا.

فالشاعر يدعو لديار محبوبته بالسقيا ناسيا غيره من الشعراء حتى تبقى عامرة بأهلها ويتخيل أن له أصدقاء يحدثهم ويدعو إليهم ألماً وحرقة لا تنطفئ وهماً لا يفارقه وهو يعرض في هذه الأبيات جانب مهم من جوانب حياة الصعلوك.

كما تبدوا أطلال المحبوبة كالوشم في ظهور الأنامل بسبب ما تعرضت له من عوامل التعرية فالرياح تغطيها بأتربة ناعمة والسيول غيرت معالمها بقول أبو الطمحان القيني:

لِمَن طَلَلٌ عافٍ بِذاتِ السَلاسِلِ كَرَجعِ الوشومِ فـي ظُهورِ الأَنامِلِ.
تَبَدَّت بِـهِ الريـحُ الصَّبـا فَكَـأَنَّما عَلَيـهِ تُـذَرِّي تـربَهُ بِالمَنـاخِـــــــلِ.
وَجَـرَّ عَلَيـهِ السَيـلُ ذَيـلاً كَـــأَنَّهُ إِذا اِلتَفَّ فـي المَيثاءِ إِسفافُ ساحِــلِ.
صَرَفتُ وَكانَ اليَأسُ مِنّي خَليقَةً إِذا ماعَرَفتُ الصّرمَ مِن غَير واصِلِ.

لقد وقف الشاعر على ديار محبوبته التي غيرها الدهر ، حيرانا متألما يتمنى أن يجد من يجيبه عن أسئلته الكثيرة التي تشغل باله ولكنه سرعان ما يثوب إلى رشده ويرتد له عقله ويعرف أن الشوق والدعاء والانشغال بما لا فائدة منه قد يثني

[1]- الأغاني، ج14، ص151/150،

الإنسان عن كثير من أمور الحياة التي لا غنى عنها أما القتال الكلابي فله عدة قصائد تبدأ بالوقوف على الأطلال فها هو يقف على ديار محبوبته حتى الضحى يسألها يريد منها جوابا شافيا لما في صدره ولكنه لا يجد جوابا لكنه لا ييأس لقوله:

لِطيبَـةَ رَبـعٌ بِالكُلَيبَيــــنِ دارِسُ فَبَرقِ نِعاجٍ غَيَّرتُهُ الرَوامِسُ.
وَقَفتُ بِهِ حَتّى تَعالَت إِلى الضُحى أَسيا وَحَتّى مَلَّ فُتلٌ عَرامِسُ.
وَمـا إِن تُبيـنُ الـدارُ شَيئـاً لِسـائِلٍ وَلا أَنا حَتّى جَنَّني اللَيلُ آيِسُ.
عَلـى آلَـةٍ مـا يَنبَري لـي مُساعِـدٌ فَيُسعِدُني إِلّا البِلادُ الأَمــالِسُ.

ويقول:

نظرت وقد جلّى الدجى طاسم الصّوى ... بسلع وقرن الشّمس لم يترجّل.
إلـى ظعـن بين الرّسيس فعـاقــل ... عوامد للشّيقين أو بطن خنثـل.
ألا حبّـذا تـلك البـلاد وأهـلهـــــا لو أنّ غدا لي بالمدينة ينجلـي.

هنا نجد الشاعر يتذكر طعن محبوبته التي لا يستطيع رؤيتها بسبب بعده عنها ووجوده في السجن الذي فر منه بعد ذاق فيه ألوان العذاب لذلك يتمنى أن ينقضي هذا العذاب وينعم هو برؤية ديار محبوبته.

2) الغزل بالمحبوبة:

هذا القسم يتعلق بالغزل بالمرأة المحبوبة التي طالما شغلت القلوب والعقول عند الشعراء الصعاليك فهاموا وتعلقوا بها فوصفوها أجمل وصف وتغنوا بها أجمل غناء يقول مالك بن حريم في مطلع قصيدة طويلة رواها الأصمعي متحدثا عن محبوبته قائلا:[1]

جَزَعتَ وَلَم تَجزَع مِنَ الشَيبِ مَجزَعا وَقَد فاتَ رِبقِيُّ الشَبابِ فَوَدَّعا.
وَلاحَ بَياضٌ في سَوادٍ كَأَنَّهُ صِوارٌ بِجَوٍّ كانَ جَدباً فَأَمرَعا.
وَأَقبَلَ إِخوانُ الصَفاءِ فَأَوضَعوا إِلى كُلِّ أَحوى في المَقامَةِ أَفرَعا.
تَذَكَّرتُ سَلمى وَالرِكابُ كَأَنَّها قَطاً وارِدٌ بَينَ اللِفاظِ وَلَعلَعا.

ويبدأ تأبط شرا قصيدة طويلة له بذكر طيف محبوبته الذي ألمّ به ومتحدثا عن هجر ماله بعد الوصل مبينا عدم صدقها في مواعيدها ثم يظهر عزة نفس وكبرياء عرفا عند الصعاليك حيث أنه لا يصل إلا من وصله فيقول:[2]

يا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإِيراقِ؟ وَمَرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاقِ.
يَسري عَلى الأَينِ وَالحَيّاتِ مُحتَفِياً نَفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى ساقِ.
طَيفِ اِبنَةِ الحُرِّ إِذ كُنّا نُواصِلُها ثُمَّ اِجتُنِنتَ بُها بَعدَ التِفِرّاقِ.
تَاللَهِ آمَنُ أُنثى بَعدَما حَلَفَت أَسماءُ بِاللَهِ مِن عَهدٍ وَميثاقِ.
مَمزوجَةُ الوُدِّ بَينا واصَلَت صَرَمَت الأَوَّلُ اللَذ مَضى وَالآخَرُ الباقِ.

---

[1]- من كتاب الأصمعيات، ص63.
[2]- ديوان الصعليك، ص144/143، من غير الأبيات(2-4-5) فهي من المضليات، ص27.

ويفتح الشنفرى تائيته المشهورة بالغزل والتشبيب مبدعا في وصف محبوبته والتنويه بمحاسنها وأخلاقها يقول:[1]

أَلا أَمُّ عَمرو أَجمَعَت فَاِستَقَلَّتِ وَما وَدَّعَت جيرانَها إِذ تَوَلَّتِ.
وَقَد سَبَقَتنا أُمُّ عَمرو بِأَمرِها وَكَانَت بِأَعناقِ المَطِيَّ أَظَلَّتِ.
بِعَينَيَّ ما أَمسَت فَباتَت فَأَصبحَتَ فَقَضَّت أُموراً فَاِستَقَلَّت فَوَلَّتِ.
فَوَا كَبِدا عَلى أُمَيمَةَ بَعدَما طَمِعتُ فَهَبها نِعمَةَ العَيشِ زَلَّتِ.
فَيا جارَتي وَأَنتِ غَيرُ مُليمَةٍ إِذ ذُكِرتُ وَلا بِذاتِ تَقَلَّتِ.

ومن الشعراء الصعاليك الإسلاميين جحدر العكلي الذي يتحدث عن الهموم التي لا تفارقه وكذلك عن البرق الذي يهواه والذي يذكره بمن يحب ويأخذ منه اليأس ويكتفي بأن ينظر إلى البدر الذي تنظر إليه محبوبته فهما مجتمعان على تفرقهما ويصل الأمر إلى ذروته حين يصل الأمر إلى الموت المحقق يقول.[2]

تَأَوَّبَني فَبِتُّ لَها كَئيباً هَمومٌ لا تُفارِقُني حَواني.
هِيَ العُوّادُ لا عُوّادُ قَومي أَطَلنَ عيادَتي في ذا المَكانِ.
إِذا ما قُلتُ قد أَجلَينَ عَنّي ثَنى ريعانَهُنَّ عَلَيَّ ثانِ.

[1]- من كتاب المفضليات، ص108، وديوان الصعاليك، ص17/15.
[2]- ابن المبارك، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص634/633.

ويشكو عبيد بن أيوب العنبري من بعد المحبوبة واستحالة الصلة لكثرة الموانع فيجهش الشاعر بالبكاء حيث يغدو الحب ألماً وبكاءا عاليا وحرقة تعتصر القلب وتورثه سقما فلما يفارقه فيقول:[1]

جَرَى ظَبيٌ بِبَينِ الحَيِّ فرداً وفاتخةٌ خطوفُ.
وقلتُ لصاحبي والقلبُ يَهفو أتزجر ذي السوانِح أم تَعيفُ.
فَقالَ نَعم جَرَينَ بِبَينِ سَلمى وبَعضُ البَينِ مُنتَعِفٌ شَطُوفُ.
كأَنَّ دُموعَ عَيني يومَ بانُوا جُمانٌ خانَـهُ رَسَنٌ ضَعيفُ.
كأنَّ حُمُولَهُم يومَ استَقَلُّوا وعامَ السَّرحُ وانشَمَرَ القطُوفُ.

ولتوبة بن الحمير قصائد كثيرة يبدأها بالغزل رقيق مفعم بالحب الخالص المتدفق الدائم الذي يرى توبة أنه لن ينتهي حتى بالموت يقول في مطلع القصيدة:[2]

ألا هلْ فؤادي عن صِبا اليومِ صافحُ وهلْ ما وأتْ ليلى بهِ لكَ ناجحُ.
وهلْ في غدٍ إنْ كانَ في اليومِ عِلّةٌ سَراحٌ لما تلوي النفوسُ الشحائحُ.
سَقتني بشُربِ المُستضافِ فصرّدتْ كما صرّد اللّوحَ النّطافُ الضحاضحُ.
ولـو أنَّ ليلـى الأخيليةَ سَلّمـــت علـيَّ ودونـي جَنْـدلٌ وصفائـــحُ.
لسلمـتُ تسليـمَ البشاشـةِ أوزقـــا إليها صدىً من جانبِ القَبر صائحُ.

[1]- موسوعة الشعر، شعر عبيد بن أيوب العنبري، المجتمع الثقافي، ص420.
[2]- المنتخب من أشعار العرب، ص288/286.

3) الحوار بين الشاعر و المحبوبة:

إذا كانت قصائد الصعاليك لا تبدأ بالوقوف على الأطلال صراحة مع ذكرها ووصفها في جو نفسي مفعم بالحزن والأسى بعد أن هيج الموقف ذكرياته مع أحبائه وإذا لم تبدأ بالغزل والتشبيب بالمحبوبة دون ذكر أطلال ما أو الوقوف عليها ووصف ما يعانيه الشاعر فإن شعرهم يبدأ غالبا بحوار هادئ بين الشاعر ومحبوبته غالبا ما تكون زوجته يصطحب بالود والمحبة والاحترام الذي يكنه الشاعر لزوجته ورفيقة دربه التي أحبها فتجد عروة يخاطب زوجته أن تتركه وشأنه ولا تكثر من لومه.[1]

أقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِر ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي.
ذَرِيني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ إنني بها قبل أن لا أملك البيع مشتري.
أحاديثُ تَبْقَى والفَتى غيرُ خالد إذا هو أمسى هامة فوق صير.

والأمثلة على حوار الصعلوك مع صاحبته كثيرة في شعرهم ومقطوعاتهم حيث كانوا يبدؤون بالتسيب بالمحبوبة مباشرة ذلك إن لم يذكروا الأطلال صراحة وقد ذكرت من الأدلة ما يوضح ذلك.

كما وجدنا في شعر قيس ابن الحدادية ومالك بن حريم وعروة بن الورد وعبدة بن الطيب وتوبة بن الحمير والشنفرى وغيرهم نوع من الغزل اللطيف العذب ما يجعله يغير فكرته ويرجع عن رأيه ويصل إلى قناعة على أن هؤلاء كان لديهم بعض الوقت يحيون فيه حياة العشاق المحبين بما فيها من شوق وحب وألم وتحسر على المحبوبة وبكاء على ذكرياتها وكل هذا واضح في شعرهم الذي سبق ذكره.

[1]- ديوان عروة بن الورد، ص69.

المبحث الرابع: مكانة المرأة الأخت.

لقد كانت المرأة الفتاة في بيتها تتبوأ مكانة مرموقة عند أهلها ويصونونها ويدافعون عنها ويلبون طلبها ويسعون إلى راحتها ويبالغون في تدليلها والدفاع عنها حتى تعيش عزيزة كريمة مزهوة بأهلها متحدة بنفسها.

فمن الدليل على علو مكانتها عند أهلها، أن يهب إخوتها مُلبين ندائها، فيدافعون عنها ويجيرون من أجارت دافعين عنها ظلم الظالمين وجور الجائرين، وكيف لا وهي الفتاة الشريفة الطاهرة التي لم تخدش لهم شرفا، ولم تهتك لهم سترا ولم تدنس لهم عرضا، بل حفظت نفسها عفيفة شريفة طاهرة.[1]

فقد حفظ لنا شعر الصعاليك قصة تشير بوضوح إلى ما سبق ذكره في الأسطر السابقة و ذلك أن السليك ما أغار على بني عوارة من بني مالك بن طبيعة، فلم يظفر منهم بفائدة وأرادوا مواثبته، فقال شيخ منهم: إنه إذا عاد لم يتعلق به شيء فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب ثقل فلم يستطع العدو، وظفرتم به، فأمهلوه حتى ورد الماء فشرب بعلم أنه مأخوذ فخالفهم وقصد أقرب بيوتهم فدخل على فتاة يقال لها فكية، فاستجار بها فجعلته تحت درعها (ثوب من زرد) وامتشقت سيفا لحمايته، فكاثروها فكشف خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها، فجاؤوا ودافعوا عنه وعنها حتى نجا من القتل. فيقول السليك في ذلك:

لَعَمرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمى ... لَنِعمَ الجارُ أُختُ بَني عُوارا.
مِن الحَفَراتِ لَم تَفضَح أَباها ... وَلَم تَرفَع لِإِخوَتِها شَنارا.
كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها ... نَقيً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا.
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي ... وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النوارا.
وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت ... بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا.

[1]- علي الهاشمي، ينظر المرأة في الشعر الجاهلي.

بالرغم من تدرع هذه الفتاة بالعفة والاعتصام بالحياء سارعت إلى الوقوف في وجه أعداءه واستلت السيف لنجدته. إذ أن للنجدة خلق عربي في صميم الرجال والنساء، فالصورة التي صورها السليك من الصور الظريفة فقد صورت مسارعة الأخوة لنجدة الأخت والذود عنها وحماية جارها حيث أصبحت تقاتل المعتدين كاشفة عن وجهها رافعة خمارها الذي هو عنوان شرفها حتى صرب بها المثل فقيل: "أوفى من فكيهة".

كما نذكر ما حدث مع تأبط شرا الذي خطب من فتاة من قبيلة عبس ومن بني قارب، فأرادت أن تتزوجه ووعدته بذلك فلما جاءها وجدها قد رغبت ورفضت الزواج منه فقال لها ما غيرك، فقالت والله إن الحسب كريم ولكن قومي قالوا لي ما تصنعي برجل يقتل عند أحد اليومين وتبقين بلا زوج، فانصرف عنها وهو يقول:[1]

وَقالوا لَها لا تَنكِحيهِ فَإِنَّـــهُ لِأَوَّلِ نَصلٍ أَن يُلاقِيَ مَجمَعا.
فَلَم تَرَ مِن رَأيٍ فَتيلاً وَحاذَرَت تَأَيُّمَها مِن لابِسِ اللَيلِ أَروَعا.
قَليلُ غِرارِ النَومِ أَكبَرُ هَمِّـهِ دَمُ الثَأرِ أَو يَلقى كَمِيّاً مُقَنَّعا.

ففي الأبيات السابقة نجد الشاعر يتحدث عن الفتاة التي وعدته أن تتزوجه ولكنها خلفت عنه ورفضته وذلك راجع للنسب والفخر والاعتزاز بقبيلتها.

فكثيرا من الشعراء الذين تغنوا ببناتهم في الحرب جحدر بن طبيعة بن قيس بن ثعلبة وكان ذلك في يوم تحلاق اللمم، حيث أن بكرا حلقت رأسها يومئذ استبسالا للموت وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم، إن كن معهم في الحرب ولم يبق منهم أحد إلا حلق رأسه غير جحدر فإنه كان رجلا ذميما حسن اللمة فارسا من

[1]- علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص218.

الفرسان المعدودين فقال: "يا قوم إن حلقتم رأسي شوهتم بي فدعوا لمتي لأول فارس يطلع من الشية غدا من القوم" ففعلوا ذلك وتركوا لمته.

فيقول جحدر:[1]

قَد يَتَمَت بِنتي وَآمَت كَنَّتي وَشُعِّثَت بَعدَ الرِهانِ جُمَّتي.

رُدّوا عَلَيَّ الخَيلَ إِن أَلَمَّتِ إِن لَم يُناجِزها فَجُزّوا لِمَّتي.

قَد عَلِمَت والِدَةٌ ما ضَمَّتِ ما لَفَّفَت في خِرَقٍ وَشَمَّتِ.

فقد تميزت الفتاة وربطتها عدة علاقات مع عائلتها وأهلها نظرا لمكانة الفتاة الأخت التي سبق لنا ذكرها فقد تربط الفتاة بأبيها علاقة حب متبادلة وهذا ما يتضح لنا من خلال الشعر العربي فقد كانت دائمة الخوف على أبيها دائمة القلق من مستقبل مجهول قد يصيب والدها فقد كان هو من يوفر لها الأمن والأمان والعيش الهانئ الرغيد. تفقد القلب الذي يحنو عليها ويحبها حبا فطريا خالصا لذلك نجدها تحاول منعه بكل ما أتيت بقوة منعه من الخروج إلى السفر مثلا وذلك خوفا أن تمتد فترة السفر أو يحول الموت بينهما.

[1]- ديوان الحماسة، ص195.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا وأعاننا على استكمال هذه الدراسة بعد جهد كبير التي كانت تحتوي على:

مقدمة: كانت حول الموضوع ومدخل كان يتضمن مكانة المرأة في العصر الجاهلي التي كانت عبارة عن كائن لا قيمة لها حتى أن شرقت شمس الإسلام كما احتوى على فصلين.

الفصل الأول: تضمن تعريف الصعلكة التي تعني الفقر والصعلوك هو الفقير والصعاليك مجموعة من الشعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام عاشوا وأطلقوا حركتهم في الجزيرة العربية وينتمون لقبائل مختلفة كانوا لا يهتمون بسلطة القبيلة وواجباتها وطردوا من قبائلهم ومعظم أفراد هذه الجماعة من الشعراء المجيدين وقصائدهم تعد من عيون الشعر العربي وذلك لعدة ظروف اجتماعية وسياسية كعدم التوازن بين الفقر والغنى وعدم وجود دولة جامعة وضعف الوازع الديني وغيرها من الأسباب.

الفصل الثاني: كان حول صورة المرأة في شعر الصعاليك.

أ. **صورة المرأة الأم:** حيث كان لها أثر بارز في حياة الصعاليك غير مسار حياتهم فانقسم الصعاليك ما بين محب لها ومشفق عليها ومعتز بانتمائه لها وبين ناقم عليها وعلى أهلها وعلى أبيه الذي تزوجها.

ب. **صورة المرأة الزوجة:** فنجد هنا زوجة الصعلوك بنصيب وافر من شعر الصعاليك ربما الكثير من معاصرتها وذلك لارتباط الصعاليك بزوجاتهم ووصفهن وصفا ماديا ومعنويا جميلا.

ج. **صورة المرأة الأخت أو الفتاة:** من خلال هذا البحث نكشف أيضا للأخت مكانة بارزة في حياة الصعلوك سواء كان أبا أو أخا وظلت الأخت عندهم محاطة برعايتهم يحبونها ويشفقون عليها ويمدون لها يد العون لمساعدتها فعاشت عندهم معززة مكرمة.

هذه بعض نتائج البحث باختصار وفي طيات البحث سيجد القارئ الكثير من الأمور المفيدة والتي لا يتسع المقام لذكرها.

أرجوا أن نكون وفقنا في هذا البحث لما يحب ربي ويرضى فلهُ الفضل والمنة وجزيل الثناء.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبوا الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسي، الحكم والمحيط الأعظم.
3. عبد الحليم حقي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه.
4. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية.
5. محمد رضا مروى، الصعاليك في العصر الجاهلي وأخبارهم وأشعارهم.
6. أبوا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام.
7. أحمد كمال زكي، شعر الهزليين في العصر الجاهلي والإسلامي.
8. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
9. ابن قتيبة، الشعر والشعراء.
10. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
11. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.
12. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة.
13. ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات.
14. الأصفهاني، الأغاني.
15. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك.
16. ديوان السليك بن سلكة.
17. ديوان الشنفرى.
18. ديوان تأبط شر.
19. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.
20. علي الهاشمي، المرأة في العصر الجاهلي.
21. وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد.
22. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المفضليات.
23. الجاحظ، الحيوان.
24. ديوان عبيد بن أيوب.
25. ديوان عبيد بن أيوب.
26. ابن المبارك، منتهى الطلب من أشعار العرب.
27. شعر عبيد بن أيوب العنبري، موسوعة الشعر.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضـــــــــــــــــــــــــــوع
06	{ المقدمـــــــــــــــــــــــــــة }
11	**مدخل**
11	صورة المرأة في العصر الجاهلي
	الفصل الأول: الصعلكة
25-17	المبحث الأول: تعريف الصعلكة
17	1. الصعلكة في اللغة
21	2. الصعلكة في الاصطلاح
37-26	المبحث الثاني: ظروف وملابسات الصعلكة
26	1. نشأة الصعلكة
28	2. الأسباب التي أدت إلى ظهور الصعلكة
28	أ. عدم وجود دولة جامعة
30	ب. ظهور زعامات غير متزنة
33	ج. عدم التوازن بين الفقر والغنى
35	د. طبيعة الأرض في الجزيرة العربية
37	ه. التمرد والخروج على الأعراف السائدة
	الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر الصعاليك
39	المبحث الأول: صورة المرأة الأم
46	المبحث الثاني: صورة المراة الزوجة
47	الصفات المادية للزوجة
52	صفاتها المادية في شعر الصعاليك

المبحث الثالث: صورة المرأة المحبوبة	56
1. الوقوف على الأطلال	56
2. الغزل بالمحبوبة	59
3. الحوار بين الشاعر والمحبوبة	62
المبحث الرابع: صورة المرأة الأخت	63
الخاتمة	66
قائمة المصادر والمراجع	68